KALEMAT
للنشر والتوزيع

« رواية »

أنت قبيلتي

أنفال محمد الكندري

الطبعة الرابعة

أنت قبيلتي

Telegram : iraqkt

- أنت قبيلتي
- أنفال محمد الكندري
- دار كلمات للنشر والتوزيع
- الطبعة الرابعة ٢٠١٥

دولة الكويت / محافظة العاصمة

تلفون : ٠٠٩٦٥٩٩١١٩٩٣٤

٠٠٩٦٥٩٩١١٩٩٨٦

تويتر : @Dar_kalemat

إنستجرام : Dar_kalemat

Dar_Kalemat@hotmail.com

للتواصل مع المؤلف : architect-anfal@hotmail.com

تويتر : @Anfalmalkandari

- **جميع الحقوق محفوظة للناشر** : لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأيّ شكل من الأشكال ، دون إذن خطي مسبق من الناشر .

* All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without the prior written permission of the publisher.

رقم الإيداع : ٢٠١٤/٣١٦

ردمك : ISBN: 978-99966-45-17-4

Telegram : iraqkt

أنت قبيلتي

رواية

أنفال محمد الكندري

تدقيق ومراجعة

ماجد مقبل

Twitter: @MajedAbdr
E-Mail: Mrawan242@hotmail.com

KALEMAT

Telegram : iraqkt

Telegram : iraqkt

إهداء

إلى كل الرجال
وبعض النساء . . .

Telegram : iraqkt

Telegram : iraqkt

كلمة شكر

شكراً لكل الرجال الذين عاهدونا على العودة ونسوا أن يختاروا تاريخ وفائهم بالدين في أجندات حبنا . . . شكراً لكل الذين عاهدونا على العودة وما عادوا . . . شكراً لرجال القبيلة الذين اتهموا ذاتهم بالقسوة فما لانوا ، وأدّوا أجمل ما في القبيلة باسم الرجولة . . . شكراً لكل الذين رحلوا باسم الحب وحملونا معهم ، شكراً لكل الذين ما عادوا ورحلوا محمّلين بنا ، رحلوا معهم قلوبنا ، تركونا هنا نصارع ذواتنا بذواتٍ لا تشبهنا ، تركونا نصنع من أنفسنا فسدةً في الحب ، شكراً لأنهم حين وقفوا في وجه الحب وأوصدوا من بعدهم أبوابه تركوا من بعدنا وبعدهم قصةً من الخلود . . . فشكراً لبعض الرجال وكل النساء . . .

Telegram : iraqkt

١

Telegram : iraqkt

المقدمة

ننتظر بفارغ الصبر على أن ننهي قصة حب بين أيدينا ، نتوق للنهاية وكأن كل العالم يقف هناك بانتظار ما ننتظر ، فنصل لنقطة تبدأنا بسطرها الجديد ، توجعنا بقدْر ما تؤنس وحدتنا ، تقتلنا بقدر ما تسعدنا ، تنتظر منا أن نحسن إليها صنعاً ، فنسقط بين يديها ، ونُسقط من كان حولنا ، لنذبل في فصل ربيعنا الأول . . . ولأنني لست أؤمن بالنهايات السعيدة أنا لست أرنو لمثلها ، أعلم جيداً أن مثلي لا تعيش إلا قصصاً مبتورة تصنعها بكلتا يديها ، مثلي لا تستحق الحب حين يستحقها ، مثلي مثل مستنقع حامَ من فوقه الذباب حتى هجره البشر ، فجِئتَني مثل المطر ، زِدتني عذوبة ، طهّرتني بطهرك ، غسلتني من ذنب قلبي ، جئت وجاءت كل قصصي معك . . . كيف لرجلٍ بهذا المحيا الذي يمتلئ نوراً أن يتوغل وحل الخيانات التي اندست فيها تفاصيلي من أجل رجلٍ بذيء الحب . . .!

كيف لرجلٍ جنوبي الهوى أن يتركني في تفاصيل ثأرهم من الحب ، يتركني وطلقاتي بين أيديهم ضحية ، تقترب مني ،

Telegram : iraqkt

تتدافع أشلائي أيهم يحلّق قبل الآخر ، كانت طلقاتي أرحم منهم علي ، كانت تريد لي الخلاص ، وكانوا يريدون لي البقاء في الذل ، لأنني فقط ابنة القبيلة التي ارتدت الطهر في حضور الحب ، وتزينت عفّتها عقداً يزهو على نحر الوفاء ، كيف لرجلٍ مثلك يا سعود ، يتركني لهم دون أن يعود ، آخذاً معه أحلامي ، وآلامي ، ليتركني للوجع ، يتيمة الفرح دونه ، يتيمة الحب ، ويتيمة كل الأشياء الجميلة التي ما وجب أن أكون يتيمة لها . . .

اختصار كل قصتي التي جعلت كل حياتي مجرد رجال ، أختصر ملامحهم وأجمع كل مشاعر الوجع في تفصيلٍ واحد يعتلي محياهم بعد كلمة واحدة أنطق بها ، كلمة واحدة فقط ، «الوداع» . . . وكأن الوداع كافٍ لأن يكون اختصاراً لكل الأعوام التي تزاحمت في عام حبٍ واحد ، أزهر في قلب رجلٍ قاسٍ بنظر مجتمعي ، وسقط كورقة أرهقها خريفي الذي ظن مجتمعي أنه ربيعٌ يستحق التقديس ، فأنا في مجتمع يعشق المتضادات ، يهوى التضاد ، يجعل من عفّتي شيئاً مقدساً وكل حياتي حرام ، بينما يبيح للرجل حتى شهوته التي كانت مقدسة بقدر أمورٍ أخرى لم تشمل دمعته أبداً ، فدمعة الرجل في مجتمعي مجرد إهانة لرجولته التي لا يعرفها إلا حين يمارسها بقسوة أو وحشية ، ذلك الرجل الذي كان بنظر فتياتٍ من عمري مجرد حيوان برجلين يمشي على أربع ، رجلين ، قلب

Telegram : iraqkt

فتاة ، ودينه . . . أنا فتاة ضعت على يدي وطني ، مجتمعي ، قبيلتي ، أبي ، أمي ، ونفسي ، أنا التي مارست الاضطهاد حتى في حق نفسي . . .

سعود . . .

Telegram : iraqkt

١

Telegram : iraqkt

لتلك الدال لذة لا تشبه أي لذة ، نشوة خاصة بأبجدية لا تكون إلا بدالٍ ختمت اسمه ، هذه الدال الوحيدة في حياتي كلها التي بلغت خمسة وعشرين عاماً التي يليها تلبية تلي أطهر التلبيات ، هذه الدال الوحيدة التي يرقص على طربها قلبي ، تخرج تلبيته الجنوبية بصوته العذب بكل عفوية ، كنت أتعمد مناداته حتى وإن لم أرغب بالمناداة ، وكأن قلبي يأمرني فتطاوعه أحبالي ، أبدأ باسمه وأنتهي عنده ، كل الأشياء تبدأ عنده وتنتهي ، أو أتعلم؟ هي لا تنتهي ، هي تبدأ وتبدأ وتبدأ ، دائماً عنده وإليه ، لكن لا تنتهي ، فكيف لليل أن ينتهي؟

كنت أعشق لهجته التي غالباً ما أنهيها بسؤالي عما يقصد ، تنطلق ضحكته بين أوردتي فأنتشل لها ، أثمل على أثر ضحكة ، أخبرته مراراً أنني لا أقوى الكلام في حضورها ، ويخبرني تكراراً بأنه لا يقوى الصمت في حضور جمالي ، وهل على عهد الجمال كنت باقية؟ أعتقد أنني لست جميلة ما دمت مع سواه ، أنا لا أعرف الجمال إلا معه ، وكأنني ما كنت إلا في حضوره . . .

حين نتسامر على ضوء القمر يسألني هل تحبينني ، وفي كل مرة أجيبه بسؤالٍ آخر «وهل تحبني أنت» كان يضحك ،

Telegram : iraqkt

فتأتي الـ«لمَ لا تجيبني» من فمي خجلى ، على أي حال أنا لا أعلم إجابة هذا السؤال كلما سألته عن إجابته . . .

في يوم من الأيام التي لا أعرف لها تاريخاً ، فأنا معه أجهل كل التواريخ ، لا أعرف منها شيئاً ، أجهل كل أطرافها إلا تلك التي تتغنى عليها أمنيات العشاق ، في ذلك اليوم الذي ما كان في رزنامة البشر ، لنا تواريخ ككل العشاق لا تتطابق هجرياً ولا ميلادياً ، فالميلاد ميلاد حبنا ، والهجرة من قلبه وإليه ، في ذلك اليوم كقطرة ندى تنساب أناملي على الهاتف ، لا شيء بعد منه ، بشعري المنفوش الداكن رغم خصلات عسلية معجونة بدقة ومركونة بتناهي أذهب إلى المطبخ ، أخرج كوباً شفافاً كقلبي الذي انسدلت من على أطرافه كل غمامات الجهل ليدرك تفاصيلي من خلالي أنا فقط ، أملأ الكوب بعصير البرتقال وأي برتقال هذا ، هو من تلك البرتقالة المسكينة التي وقعت ضحية تلك الطقوس ، طقوس صباحاتي من بعده ، ، كيف لي أن لا أمارس طقوسه وهو كل طقوسي ، كأي عاشق وأي عاشقة ، نعيش بروتين الطرف الآخر ونتفنن في ممارسته ، وكأننا خلقنا من أجل أن نقف بين أيديهم وداخل ضلوعهم ، أقطع أول برتقالة فأنهيها وأنتصف كل أحلامها في أن تشيخ بقرب رفيقاتها ، أعتصر كل تلك الآلام التي بداخلها ، أنهي وجعها لأرتشفه كما كل صباح ، حلاوة تسري بين حلمات تذوقي تتخللها مرارة بعض

Telegram : iraqkt

١

ذكرياتي التي ما كانت بعد ، كنت أكره ذلك الطعم المر الذي يصاحب كوب العصير السكري الحلو ، وكأنني أخطأت فشربت عصارة قشرتها ، على أي حال دفعت ثمن أحد أخطائي في قتل براءتها وتلك بدايات دفع الثمن . . . أعود لغرفتي ، وأعيش يوماً يشبه كل الأيام التي مضت معه ، يوماً كان لي لكن مصنوعٌ من أجله ، أفرغ كل الأوقات من أجله ، وأجعل كل الأوقات إليه . . . أقترب من مرآة كانت أمام سريري ، دائماً هناك ، ربع قرن كامل ، لم أعمد لتغير شيء ، حتى بضعة أشياء لن يضرني تغييرها ، أقف أمامها ، أنظر لتفاصيلي ، كبرت كثيراً رغم أنها أيام على حبنا الذي بدأنا ولم نبدؤه ، خطوطٌ تنتشر قرب جفني على أطراف مقلتي ، تروي حكاية وجعي ومعاناتي في الحب وسواد يحيط مقلتي من أثر السهر على أبجديات رسائل الحب ، أجهل كيف يقال أن الحب يعيدنا أياماً إلى الماضي ، يعيدنا أطفالاً نجهل ما كان وما سيكون ، ذلك الحب أبعد ما يكون عن هذا ، الحب هو ذلك الوجع الذي سكن أبجديات قلوبنا فبتنا نعشقه ، وكأن الوجع كفيلٌ بإرضاء غرور قلوبنا التي ما رضت بسواه ، ذلك الحب ، أبجدية ألم ، وسطور من المعاناة التي ارتضيناها لأنفسنا وسعدنا بنقاط اعتلته أو سقطت سهواً أسفل منه ، ذلك الحب الذي يملأ رأسنا شيباً ، ويختم جمال ملامحنا بتجعيدة ، هذا هو الحب ، لا أعلم لم قصص الأولين جعلته خيالاً ، وأغاني اليوم

Telegram : iraqkt

جعلته أسطورة ، هل يعقل أن يكون بعض ما أعيشه معه ، مجرد حلم أو أطراف أكذوبة؟ . . .

كنت أقف وقتاً طويلاً أمام المرآة ، عشيقتي التي أمارس معها في كل يوم قصة من قصص حبنا التي إنتصفها الوجع ، بقايا جرح هنا ، وندبة أخرى هناك ، كنت لوحة لكل معاني الظلم ، العنف ، وحتى الرثاء ، أذكر تفاصيل كل قصة صاحبت جرحاً نازفاً في قلبي جافاً على أطراف مرآتي التي تخبرني في كل يوم أني لا أستحق سوى حياة أفضل سأحظى معك بها . . . معك أنت يا سعود .

Telegram : iraqkt

إلى سعود :

هنا سأحكي بصوتي إليك ، صوتي الذي تعرفه جيداً فأنساك إياه الزمن ، صوتي الذي يدور على «بشتختة» حبنا التي لطالما أعادتنا لنزار وحلو كلامه الذي تغنى به العشاق ، سأحادثك رغم غيابي ، بصمتك المعهود ستسمعني وتقرأني ، أو لن تفعل ، فنحن الذين اعتدنا الكتابة لكم لا تقرأون لنا ، على أي حال ، تصور يا سعود ، مجرد تصور لا أريد منك أكثر من ذلك ، كنت أضعك مقياساً لكل الأشياء التي يمكن أن تصاحب أحلى لحظات أيامي ، وكأن الله خلقك لتكون منتصف كل الأشياء التي ترجح عليها كفتي ، تصور أني مغرمة كفاية لأجعلك كل حياتي التي ملأت بتفاصيلك ، أي تفاصيلٍ تلك التي ملأت بها حياتي ، وبأي حق كنت تفعل ذلك؟

حين فصلت بيننا مسافات كثيرة ، وقطعتنا العادات إلى نصفين لا يكتملان ، كيف لك أن تملأني ككوب عصيرك؟ وترتشفني على مهل ، أنا وأنت قصتين لا تنتهيان بنهاية واحدة ، أنا وأنت حتى وإن كنا حكاية واحدة فقط ، لن تنتهي بنهايات سعيدة لقصة ما قبل النوم نحكيها لطفلٍ نام على أول

Telegram : iraqkt

كلمة فيها . . . أنا وأنت ستقف بيننا كل الأشياء التي لا تقف بين اثنين تعاهدا على الحب منذ أربع سنواتٍ قصارٍ فيه ، يبدو أننا يا سعود أقحمنا أنفسنا فيما لا علم لنا به . . .

Telegram : iraqkt

أحزم أمتعة الحزن فيني ، فأوضب تلك البقايا منه ومني ، أغلق العلبة الصغيرة التي كانت بالقرب من هذه المرآة التي عكست تفاصيل الوجع ، هذه العلبة التي كلما ضممتها لقلبي لما أغدقتها حباً وأغدقت العالم من حولي كرهاً وعتاباً . . . أذكر أنه بانتظاري ، كان موعدنا اليوم لأن نلتقي ، نلتقي دون أن نفعل ، كان موعدنا في أن نقضي يومنا معاً لكن كيف كنا نقضيه بين آلاف المسافات؟ . . .

- صباح الخير

- صباح النور ، كيف كانت ليلتكَ؟

- جيدة كفاية لأستيقظ فألقاك هنا ، وأنتِ «كيف حالش»؟

- آخر ما سمعته من قصتكَ أن الشاه مات ، ثم أغمضت جفني على لحن صوتك الذي راح يردد أبياتاً من الشعر الفصيح ، كيف تتقن دروس تنومي ، تتفنن في كل ليلة ، أدخل في تفاصيل أحاديثك كي أجادلك ، أحاول أن أبادلك طرفاً واحداً من الحديث ، في كل يوم أعد مسودة لما سأقول وما سأجيب ، لكن جلّ ما يحدث أنك تصنع مجالاً جديداً لتنويمك اللامغناطيسي لي ، يبدو أن الرجال يتقنون المرأة بشكلٍ مثير للريبة . . .

Telegram : iraqkt

- أو لربما يعشقونها فيحسنون إليها ويسعدون غرورها . . .

- لسنا مغرورات كل ما في الأمر أننا ننتظر منكم أن ترضوا ظننا في رغبات الحب التي صارعت رغباتكم

- أنتنّ يا وطني حتى إذا وصلتنّ لأقصى درجات الرضا لا ترضون

كان دائماً ما يعتبرني فتاة لا أختلف عن الفتيات حتى في الحب ، يمكن بسهولة تخمين ما نريد لكن من الصعب عليه أن يتخذ قرار ما إذا كنت سأرضى أو لا ، بينما أنا ، أنا مغرمة كفاية لأجعله مختلفاً عن كل الرجال ، مخالفاً لرجال القبيلة ، أنا . . . أنا كنت أجعله ملاكاً في هيئة رجل . . . كان يملؤني بالغضب كلما حدثني بفلسفة الحب ، الجمال الرغبة والضريبة وكأن الحب سلعة ندفع ثمنها الضريبي ، قد نسترد بعضه وقد لا نفعل ، بينما أنا أدافع عنه لأن الحب هو إحساس مدفوع الثمن من قبل أقدارنا . . .

- أنا أرضى إذا ما أحببتني كفاية

- لا كفاية في الحب ، هو إدمان نموت بجرعة زائدة منه

- في نهاية الأمر نحن نموت بسبب الحب وهذا كافٍ

- أو نموت بسبب الوجع فيه وهذا غير كافٍ

- لماذا تجعل من الحب أمراً سيئاً حتى في نهايته الحلوة؟

- «أنا أكلّمِش بالواقع ، ضريبة وملزوم ندفع ثمنها»

- الحب إحساس فقط لم تجعل منه ضريبة وتنقله لمراحل

Telegram : iraqkt

١

فانية مثل أصحابه؟ لم تجعل منه أمراً أرضياً وسطحياً ، كيف لك أن تتهمه بهذه الدونية؟

- حين نحب يتصارع العقل والقلب صراعاً أزلياً وهذا كافٍ لخلق آلاف المواقف ، الأحاسيس ، واللحظات التي سندفع ثمنها ضريبة على حبنا ، فقط لأننا أحببنا سندخل في كمٍّ من المتاهات . . .

كنت أنهي حديثي هذا في كل مرة خائبة ، حزينة ومكسورة ، أجل مكسورة الجناحين لا أطير منك ولا إليك ، لا أعرف سبب عدم تقبلك للحب ، وأنت الذي أحببتني إلى الحد الذي مزّق قسوتك أشلاءً ونثرها في مهب الريح ، لا أعلم لم تحمل ضغينةً له؟ هل لأنه فانٍ مثلنا؟ لأنه زائل كما أعتقد؟

Telegram : iraqkt

١

إلى سعود :

في كل مرة يا سعود أخبرك فيها أنني أحبك ، تسألني عن سر تلك الابتسامة المبحوحة الصوت التي تصاحب الكلمة ، فتنهي حلم أنثى شرقية في أن يجيبها محبوبها بمثل تلك الكلمة ، وأنا يتيمة الحب ، أقبل فأكمل أحاديثي ، تخيل مقدار الوجع الذي يصاحب قلب فتاة تنتظر كلمة أحبك لكنها لا تحتاج إليها ولكن تعتقد أنها تفعل ، لو قلت أنا أيضاً لكان كافياً وأكثر من كافٍ بالنسبة لي ، لكنك بجبروتك وتعاليك الذي يطوي في كل يوم صفحة من صفحات حبنا تكتفي بأن تخبرني أن الرجال في قبيلتك لا يعبروا عن حبهم بألفاظ مبتذلة بل بأفعال محفوفة بالشهامة والمروءة ، وكنت قد جعلت الحب مبتذلاً يا سعود وكنت مقتنعة بذلك ، فأفتخر وأنا التي ما نشأت على كلمة أحبك من شفتي أبي لأمي المتزينة أمام مرآتها تنتظر منه أن يفتح ذراعيه لاحتضان حبٍ امتلأ بها بعد غيابه أسبوع بعذر رحلة عمل مهمة ، ليندس إلى سريره ويدير لها ظهره بعد ليالٍ سبع طوال قضاها في مراقص دولةٍ ما ، كنت أتمنى لو أن يكون حظيً العاثر لا يشبه حظ أمي العاثر أكثر ، كنت أحلم بكلمة أحبك منك ، أتخيلك تجيبني بها فأجعلك

Telegram : iraqkt

١

فارساً مناسباً لي ، لكنك ما كنت تنطق بها ، ولا حتى تلمح لي بها ، أنت جعلت مني شيئاً من الأشياء المسلمة التي وجبت أن تكون لك وتعود دوماً إليك ، لأنك تعرف تفاصيل الإناث جيداً ، كنت تعرف جيداً أني بانكسار قلبي سأعود وبانكساري سأغيب . . .

تلك المقدمة الطويلة لقصة حب ، لقصة وجع ، ولخليط بين هذا وذاك ، تلك المقدمة هي قصتي وقصة رجال صاحبوا حياتي ، تلك البداية الطويلة قصيرة لن أختصرها . . .

Telegram : iraqkt

لحظة يهمس بها بحب فيغمرني نشوة ، رغم جفوته ، وقسوته ، وكل تلك العادات التي كبّلت معتقداته في أن الحب لحظة لها علاقة بوصمات العار كنت أحبه وكان يحبني ، بعجين العفة وقطرات الوقار كنا نحسن تنظيم موائد الحب والغرام ، من خلف سماعة الهاتف نتسلل وتتسلل كل قصص الحب فينا ، ينقلني لعالم من الغيبيات التي لا نعرف منه سوى نهر من الحب نظمأ ونعطّش على شرباتٍ منه ، ها هو في لحظة يزرعني حباً ويحصدني . . . كنت أعرف سعود من أيام دراستي في الجامعة ، مبتعثاً متمرداً على عاداته ، جاء ليتحرر منها ، جاء ليحرقها وحرقني معها ، تلك الأيام التي أخبرني بها سعود أن الأنثى مجرد رغبة للرجال أو ضربٍ من ضروب المحال ، حيث يتفرْعَن الرجل في شقة من أربعة جدران فيستعبد تلك التي تصرف عليه ، يجعلها جاريته التي تحقق له ما يريد ، وبعد ذلك يجازيها بثلاث جاريات له يقاسمنها الجدران يزدن أوجاعها وجعاً ، كان يوهمني أن الرجال ، رجال القبيلة ، آلهات خلقوا لاستعباد الإناث ، وكنت أستغرب كلما قال ذلك ، فالآلهة مؤنثة ورجال القبيلة لا يقبلوا بهذه الإهانة ، لكنني كنت أُقبل بأوصافه وأرضى بأحكامه وتلفيقاته ، أتعلم

Telegram : iraqkt

لم كنت أرضى باتهامات سعود ، لأنه زرع ذلك فيني ، أوهمني أن الرجال كلهم هو ولا يشبهه سواه ، لذا لا يوجد رجال ، ولأني الأنثى الوحيدة التي قداستها لا تقبل التدنيس سوى بحكم غيرته ، فلا أنثى عالية سواي ، كنت ومن فرط خيبتي أتعذر له ، أتعذر لمعتقداته ، وأرضى بنصيبٍ صنعته بيدي لانني أحبه ولأنه دون أن يخبرني بحبه يحبني . . . بالمناسبة حرام أن أتهم قبيلة كاملة بل ووطن كامل من أجل عينيه التي كنت أرى فيهما ، لكني أبحت ذلك ، وانتهكت حرمة جمال الحب من أجله . . . لأنني ظننت أنه عشقني كشرقي بكل ثوراته ورغباته ، عشقني بغروره وكبريائه ، عشقني كما لم يعشق أحد ، فكان يريدني له ، ولا يريدني لسواه ، جعلته بحكمي رجلاً لا يشبهه الرجال ، وجعلتني في عينه أنثى لا يعرف عند حدودها المحال ، وصح ظني . . .

- قادمٌ إلى الكويت

- متى ولماذا؟

- متى . . إجابتها مجهولة ، لك لكنها معروفة لديّ ، أما لماذا . . أعتقد أنها معروفة لكلينا ، أنا لا أنوي شد الرحال إلى الكويت إلا من أجل عينيك ، أنت وطني الذي أتوه من دونه ، أنت ذلك الوطن الذي مهما كتبت على جدرانه لن يوبخني ، لذا كنت أكتب في كل مرة سأعود ، لأعود لوطنٍ لا يعرفني ثم أعود إليك بعد حين لأعاود الكتابة على جدرانكِ يا وطني . . .

Telegram : iraqkt

إلى سعود :

أجل يا سعود ، كنت وطنك الذي تكتب على جدرانه «سأعود في كل مرة تقرر فيها» هجرته زمناً لا أعرف كيف أحصيه ، حتى امتلأت كل جدراني بكلماتك التي كنت توفي بها بعد حين طويلٍ جداً ، نعم كنت تكتب حتى سئمت كتاباتك لتلك الكلمة ، وكنت أنوي أن أهدم نفسي بين يديك وعليك ، كي أموت وتموت ، كي لا يبقى أحد يكتب على جدراني ولا تأبه جدراني بما لم يكتب بعد ، كي لا تبكي أنت كلما مررت وقرأت جملة حب لم تكتبها أنت لي ، أنا يا سعود ، أنا التي بنيت وطني فيك وأنت هدمته حائطاً حائطاً . . . هدمتني لأنني المسلّمة التي تعلم جيداً أنها مهما غبت ستعود لتجدها ، لأنها الفتاة التي جلست بالقرب منها في أول محاضرة لكما وابتسمت لك حين قابلت نداء الدكتور لاسمك بـ«لبيه» نعم أنا جدران وطنك الذي خنته ، خجلى من أنني سقطت عند الكلمة التي لا أسمعها مراراً لأنني لست ابنة القبيلة ، عند الكلمة التي تتوق أنثى لا تعرف من رجال القبيلة الا الشهامة ، أنا يا سعود وطنك الذي خاب فيه ظنك وخابت فيك ظنوني ، وما أقسى أن يخيب ظنٌ واحدٌ مقابل كل الظنون . . .

Telegram : iraqkt

جلست على أكثر طاولة تطرفاً قرب الباب ، فيبدو أننا أزعجنا مالك المقهى فقرر أن يحرمنا تلك التلويحة من خلف الزجاج الفاصل بيننا وبين من نحب فغطاه بالسواد بالكامل ، لذا جلست هناك علّي أوفّق فلا أخسر تلك التلويحة ، جلست أرقب ممر القادمين ، ليقفز قلبي في كل مرة ألمح فيها طيفاً كان قريباً له لكن لا يشبهه ، وتقفز عيني ألف مرة في المرة ، أنتظر من ملامحه أن تظل باحثةً عني بين آلاف الوجوه التي أخاف أن تعرفني ، ها هو ، وانزلقت دمعة فرح على ملامحه التي ظفرت بدمعتي تلك ، ثم ببساطة أكمل المسير ولم يلتفت إلي . . . هرعت مسرعة ، ورحت خلفه عله يدركني فيعيد النظر ، أريد نظرة يعتذر بها ، أو يبرر بها عدم التفاتته إلي ، لكنه لم يفعل ، بل مدّ يده لرجلٍ ثلاثيني طويل ، هزيل البنية ، ملامحه الحادة تجذب عيني ، شفتاه اللتان اسودتا من التدخين تثيران غثياني ، أكملت مسيري وتخطيته ولم ألتفت رغم أني كنت أريد أن أفعل ، وكأن عيني ما اكتفت بعد ، وقلبي ما أشبع جوع الهوى الذي انتظر من موائد عينيه نظرة ، لكني انكسرت مع أول صدٍّ قابلني به ، فكيف الحال بآلاف الصدود؟

نظرة فقط كفيلة بأن تميتنا وتحيينا ، ولأنه أحبابنا يدركون

Telegram : iraqkt

أسباب موتنا فهم يتفننون في تكفيننا ألف مرة ، وغسل وجعنا مرة فقط . . . كنت طوال طريق عودتي وأنا أحسن تبرير فعلته ، بل وأضع له بدل العذر ألف عذر ، وكأن العذر الواحد الذي خلقته بكذبة ما كان كافياً ، وكأن العذر الواحد الكاذب ما سد جوع رغبتي في أن أطهره من دنس الخيبة التي أصابني بها . . . يرن هاتفي ، ولأني ساذجة كفاية في حبه ، أجيبه بلهفة طفلة اشتاقت لوالدتها رغم أنها للتو كانت قد وبختها . . .

- ألو

- اعذريني يا وطني ، لكن مبارك كان بالقرب ، ولم أستطع التملص من خبرته العريقة بالفتيات . . .

أتدري إلى أي مدى كنت ساذجة وكانت سذاجتي؟ إلى الدرجة التي جعلتني أغفر له ذنبه الذي أوجعني ساعات ، بلحظة واحدة فقط ، نسيت كل ساعات الوجع التي تخللت فرحتي بقدومه . . .

- أحضرت لك شيئاً بسيطاً ، كنت أريد أن أهديك إياه كهدية ، لكن يبدو أنني سأهديك إياه لأبدي اعتذاري وأسفي على ما بدر مني دون قصد

- لم أكن بحاجة لهدية من الأصل لأنتظر منك اعتذاراً ، كانت كلمة أحبك كافية لأن أمسح ذنبك ، وأغفر جرحك . . .

أحبك؟ وهل تعرف الحب ، وأنت ابن القبيلة التي أخبرتني أنها لا تعترف به؟

Telegram : iraqkt

١

إلى سعود :

كنت دائماً ما تناديني بوطني وفرحتي ، ترفض أن تطلق علي لقباً أو تناديني بصفة غيرها إلا ما ندر ، تناديني بوطني فقط ، حتى اسمي ما كنت تناديني به إلا ما أخطأ قلبك فتناديني ريناد لأغتاظ من أنك لم تناديني بما عهدت ، فأسألك لم ، لماذا وطني؟ تبتسم وأنت تكتب اسمي بعد أن رفعت القلم بيدك اليسرى ، ليبدو اسمي أجمل ، أجمل بألف مرة رغم أن الحروف أعرفها وأتقن رسمها جيداً ، ذلك اليوم سألتك فيه لم وطني يا حبيبي ، لماذا لا تتغزل بأبجديات اسمي ، لماذا لا تسعدني بلقبٍ سيصاحبني غزلاً ، يضحكني خجلاً كلّما مر على مسامعي ، فأجبتني وابتسامة عريضة ملأت تفاصيلك التي ارتفعت فرحاً ، لأنك وطني الذي بإحساني في حبه سأدخل إليه بعفو قلبك ورحمة حبك لي ، لأنك وطني الذي مهما تهت ومهما رحلت سأعود إليه ، ثم ما الداعي للصفات وأنت التي اختلف الجميع على اسمك ، فاختلفوا بك ، أنت تراب جنة قلبي ، أم يا ترى أنت موطن كل الغزلان التائهة تبحث عن الجمال فيك ، أم أنت عطر أيامي التي عبقت بحبك ، أنت كل شيءٍ حسن فلم لا أختار لك أجمل منها

Telegram : iraqkt

كلها وأناديك بوطني . . . أسحب القلم من يديك ، وأمسح اسمي ، أتعلم لم كنت أفعل ذلك ، لم كنت أمسح اسمي بعد أن تكتبه ، لأني أؤمن بالخزعبلات ، وأتطير رغم أني مؤمنة بأن الطيرة حرام ، لكنني أفعل ذلك لأن الأعسر يفقد أيامه على عجل ، ويموت على تلك الأيام بأول أطرافها ، كنت أتطير بك ومن أجلك ، ألا تدرك كم أنني أذنب بك ومن أجلك ، وبعيداً عنك ما أنا سوى تلك العاكفة التي تحسن إيمانها إليك ، خفت عليك مني ، ومن أشياء كثيرة لا أحتاج أن أخاف عليك منها ، فمن خلقك سيكفيك حتى شراً صاحَبَ حبي . . .

- إذاً لم تكن هنا من أجلي ، كنت هنا من أجل حفل زفاف ابن عمتك الذي لا يعرف عنك سوى أنك سعود . . .

سكت برهةً طويلة ، ثم أطلق تنهيدة أطول ، وكأن الدنيا كلها بحملها وقفت على عاتق تنهيدته ولا يعرف كيف يسقطها حتى لو سهواً ، علمت أن القصة أكبر من كل هذا ، وأن القدر أكبر من كل هذا وذاك . . .

- ريناد أنا هنا من أجل ألف قصة وقصة

- كنت تخبرني دوماً أن القصص هي عبارة عن أبجدياتٍ من الوجع والحب ، من الفرح والخوف ، وكأن المشاعر لا تتناقض فقط ، بل تختلف على مسافاتٍ من العجب ، والآن تدرك أول حديث ليلتنا بقصة؟

- ريناد . . .

Telegram : iraqkt

ا

لاسمي نغمة تملأني بالحب حين ينطقها عن طريق الخطأ بعيداً عن وطن الملكية ، لكن هذه المرة ، هي تملأني خوفاً وقلقاً ، كيف له أن ينادي بريناد دون أن يتبعها بوطني ، أو يسبقها بأي شيء ، كيف وأنا وطن قلبه وقبيلة حبه؟

– أنا هنا لأتم خطبتي على ابنة عمي . . .

هكذا أنهاني ، وهكذا انتهيت ، بكذبة بدأتُ وبحقيقة انتهيت ، ولأنني مؤمنة بعادات الوطن وفرض القبيلة التي ما كنت منها ، صدّقت جملة قصيرة لم تقنع الحب فيني . . .

Telegram : iraqkt

إلى سعود :

أتدري ما هو شعور الوجع حين تخيب كل الظنون ويموت الحب بين أضلاع قد تشعب فيها فسكنها رغماً عن كل ضلع لم يرد ذلك؟ لا أظن أنك تفعل يا سعود ، فها أنت انتصفت عمري بجملة ، بأحرف لغة وأبجدية إحساس كنت قد علمتني مسبقاً أن أعشقها ، لكن ها أنت تكسرها بتصرف لا أستطيع تبريره ، لا يمكنني أن أغفر ذنبك فيه ، لا يوجد عذرٌ كافٍ ولا حتى كلمة أحبك ، تخيل أن الكلمة التي انتهت صلاحيتها عند البشر ولكنها كانت صالحة بيننا لم تعد كافية ، انتهت صلاحيتها وما عادت تكفيني ، يبدو أنّ الوجع الذي صنعته بيديك ، بين أضلاع خُلِقَت من ضلعك ، كبيرٌ ولا يمكن أن تسد ثغراته بقطعةٍ من قماش أكاذيبك الذي عهدت أن ترقع به قلبي . . أنا اليتيمة في حبك ما عدت أشعر بيتمي ، وهل لليتم شعورٌ أصلاً أم أنه مجرد وجع؟ أنا يا سعود تعلمت منك كل شيء سيء في الحب ، وحين علمت أنه سيء خفت عليك مما علمتني ، فأحسنت إليك بدلاً من ذلك . . .

Telegram : iraqkt

يحدث أن تتراقص الأيام فرحاً على وجع العاشقين ، فتهزم كل رغباتهم في التشبث بالحياة ، وتقتل أي أنواع الأمل التي تتخلل ثقوب قلوبهم التي اسدلت ستار الخيبات والألم ، يحدث أن تطعننا فتناقض أهواءنا ورغباتنا التي تمدنا ببعض الحيل والقوة ، لذا كانت تمضي سريعاً ، أجهل كيف يقال أن الأيام تمضي دون من نحب على مهلها ، هم يكذبون ، دائماً ما يكذبون ، بل نهرم وتكهل أيامنا ونحن دونهم ، ليعودوا فيجدوننا قد هرمنا أعواماً كثيرة في عام واحد ، ويظلوا صغاراً ، ملامحهم الشابة لا تزال في بدايات عنفوانها ، وكأنهم شربوا شراباً سحرياً أبقاهم شباباً وأبقى قلوبهم القاسية بلا مشاعر ولا رحمة ، فها هو اليوم ، يزف وقلبي إلى أخرى ، حاملاً كل الذكريات التي كانت بداخلي والأحلام التي صنعتها معه ، ليختلي بأخرى ، ويرمي بي وبتلك الذكريات والأحلام على ذلك الرف البعيد ، نرقبه بغصات الألم ، بعد أن أنهاني بكلمة ، وأغلق الهاتف وأغلق كل شيء من بعده ، حتى أنا أبواب قلبي قد انغلقت ، وصرت دونه أسيرة وحبيسة الوجع الذي بداخلي . . .

- ريناد ، لشرودك ألف سؤال بداخلي يثير كل تخوفاتي

Telegram : iraqkt

١

تجاهك ، حتى ابتسامتك التي تتصنعينها بوجودهم ، تؤرقني كل ليلة بعد عودتي للمنزل ، أسألك بالله ما الذي يحدث؟ أين ذهبت ريناد التي تتراقص بكلماتها على مسامعنا كلما اجتمعنا ، أين هي التي كانت أديبة الجلسة وشاعرة اللحظة ، أين التي تطربنا في كل جمعة بصوت الحب فيها

– يبدو أنني لم أتقن تفاصيل الفرح يوماً ، حتى ابتسامتي ما خضعت لقوانين الفرح ، كل شيء يستوجبني أن أعيش الوجع ، أن أسكنه قبل أن يسكنني ، حتى الكلمات كانت حزينة بصوتي رغم كل الحب الذي كتبت به ، أنا التي خلقت باسم الوجع لأمارسه كل حين . . .

كانت «مشايخ» رغم بعدها قريبة ، مشايخ التي تخلّى عنها الجميع لأنها مطلقة ، أوجبها المجتمع أن تدس رأسها بين وحل كلماتهم وتسكت ، كانت هنا تسألني عن وجعي وأنا التي ما سألتها في يوم عن وجعها ، غريبٌ أمرنا نحن البشر ، فيا الله كيف لنا أن نتركَ من أحبنا ونتعلق بمن لم يردنا يوماً ، حين تدير لنا الحياة ظهرها ، لا يبقى سوى من لم نبادلهم شيئاً بالقرب منا يحملوننا على أكتافهم ويطوفون بنا حول الأفراح لنسعد ويسعدوا بسعادتنا . . .

ارتديت الأسود ، بل ارتداني السواد ، وأعلن الحداد على جسمي ، كأني أرملة في عدتها التي لن تنتهي ، بينما هو هناك يلتحف البياض من أطراف وشاح فستانها ، ببساطة تركني

Telegram : iraqkt

على أعتاب الرحيل ، وذهب بعد خطوات قليلة إلى رصيفٍ آخر واستقبل أخرى بين أحضانه ، وأنا هنا أرقبهما يتبادلان أحلاماً كانت من المفترض أن تكون ملكي . . . خرجت لمشايخ التي كانت بانتظاري في الخارج ، بعد حرب خاضتها بين ماذا سيقول الناس وماذا سنقول ، خرجت بعد أن ظفرت بحريتها التي كانت بيدَي المجتمع والناس ، خرجت بعد أن أقسم أخوها أن يتصرف تصرفاً آخر حين تعود ، ولم تبالي ، تلك مشايخ التي لا تخشى العادات ولا القبيلة ولا المجتمع ، عهدتها هكذا وها هي تعود ، حين وقفت في وجه أقسى العادات وتزوجت ممن لا تقبل به العشيرة ، خاضت كل أنواع التنكيل بالحب ، وبعد عام طلبت حريتها بعد أن انتقلت من سجنٍ مركزي بين عادات أهلها إلى سجنٍ آخر ، طلبت الطلاق بعد أن علمت أن كل السنين التي تمضي قبل العشرة لا تبدو إلا صالحة لنا . . . عادت لكن لم وكيف عادت؟ لا أعلم ، لربما هناك أطراف حكاية لم أعرفها بعد . . . انطلقنا إلى حيث أكثر الأماكن اكتظاظاً بالمشاعر ، لا أريد التواجد هنا ، لا أحبذ فكرة فيضان المشاعر في قلبٍ لا يحمل بين أطرافه سداً فتُمسح ملامحه ، أريد أن أخبرها ، أن أخرج جزءً صغيراً من هذا الوجع ، لعلّي أسقط هذا اللهب على أراضٍ لا أسكن فيها فلا تحرقني ، أريد لها أن تعرف أنني لا أرغب بالتواجد بين كل هذا الألم والحب والرغبة وغيرها من مشاعر الفنانين المرهفة . . .

Telegram : iraqkt

- إذاً هيا أخبريني يا ريناد ما الموضوع ، لم تكوني يوماً هكذا ، ثم ما حكاية هذا السواد؟ وما قصتك مع كم الكتب المرمية خارج غرفتك؟

- حكاية؟ يبدو أن الوجع لا يختصر إلا بكلمة أكثر دقة من تلك الحروف الأربعة من اللغة ، لا يختصر ولا يجمع إلا بكلمة حكاية ، هذه الخمسة أحرف التي جعلت من الوجع سلسلة لا تنتهي إلا بنهايات كاتبيها . . .

- ما الأمر؟ أنت تخيفينني كثيراً

- مشايخ . . .

انفجرت باكية . . . لأول مرة أدرك أن دموعنا يمكن أن تفيض من أعيننا التي تنفجر فتسقي وجعنا وجعاً آخر ، لأول مرة أذرف سيلاً من الدمعات التي صاحبها أنينٌ لا ينقطع ، بدأت ألملم نفسي بشهقاتٍ قصيرة ، وكأني كنت أفقد روحي بسكرات موتي من شدة الحب والوجع ، كنت أبكي بكل مشاعر الكون التي تحملني على البكاء . . .

- اليوم ، اليوم قلبي يزفّ إلى أخرى ، باسم كل الأمور التي لا يفترض أن تبرر فعلته ، هو يزفّ لأخرى ويشاطرها كلّي . . .

لم أتمالك نفسي أكثر ، نصف الدقيقة التي استمديت بها قوتي لأنطق بتلك الجملة انقضت ، لأعود إلى فقرة البكاء في ظل الحب والوجع ، وهي على الكرسي المقابل ، تحمل ملامحاً

Telegram : iraqkt

من هذا الكون ، تبدو عليها في كل دقيقة ، تعتلي وجهها أسئلة في كل نظرة ، وهي الفتاة التي لا تستوقفها الخيالات ، ولا تقتلها الحقيقة . . .

– من هذا يا ريناد؟

– يبدو أنه رجل من غير هذا العالم ، يبدو أنه رجل لا يمكنني أن أخبر الناس عنه ، رجلٌ لا تقبل بي قبيلته ولا ترفضه فتاة مثلي . . .

– بل يبدو أنه ما كان رجلاً حتى ، يبدو أنه من غير هذا العالم ، لأنه خلق من طينة غير طينتنا ، خلق من طين معجون بالقسوة ، أي رجل هذا الذي يتركك أياماً كثيرة كأرملة لا تعرف من الحياة سوى ذكراه وحلمها المهشم؟

– هو رجل شرقي خضع لعاداتنا واستعبد قلبه مجتمعنا ، هو رجل يا مشايخ كان أهلاً لقبيلته . . .

– أنا التي أعرف عن رجال القبيلة ، أنا التي لا أخطئ في عادات هذا الوطن أنا يا ريناد ، أنا التي ذقت مرارة كل الرجال ، مرارة كل أنواع الرجال ، من رجال القبيلة والعشيرة والوطن ، أنا التي ذقت حرقتي من الرجل في حضوره وغيابه ، أنا التي بعد أعوام من الحب وكثير من الصراع من أجل أن يظفر بي ، تركني لأنني لا أحقق له رغباته التي يطلبها كل ليلة ، لأنني لست أكفي رجولته حين يطلبني أنوثتي ، أنا أخبرك أنه ما كان رجلاً وما استحقك . . .

Telegram : iraqkt

إلى سعود :

تصـور أنني في تلك اللحظة ، أدركت أني في كل تلك الأيام كنت أبرر فعلتك ، لم أكن أحملك أي ذنب ، كنت أغفر ذنوبك كلها بدمعة ، كنت أغفر كل ذنوبك ، رحيلك ، وفراقك بدمعة ، تصور بدمعة تقتلني كنت أحيي شرقيتك ، كنت أظلم العادات ، وأتهم المجتمع الذي صنع تصرفاتنا ، كنت أتهم كل الأشياء حتى الجمادات ، كنت ألفق ألف كذبة عن القبيلة وأصدق ما قيل عنها ، فقط كي أطهرك من ذنبٍ كان منك ولك ، تخيل يا سعود ، إلى أي درجات الحب كنت أعشقك ، وإلى أي درجات الإهمال كنت تركنني . . . ألست تؤمن بأنني أرتكب كل يوم ذنباً في حق نفسي ، أسوقها للجحيم بنفسي ، فأرتكب ذنباً في حبك الذي لم تبادلنيه يوماً ، أضعك ككأس خمرٍ لا يفارق مائدة مخمور ، كصورة يعبدها ضالٌ وهو يعلم نهاية ضلاله ، يبدو أنني كنت أحبك بكل جهلي ويقيني بنهاياتك ، كنت أحبك بكل الفساد الذي حملني على أن أفسق في نفسي فأسكر بحبك ولا أستيقظ ، أنا يا سعود ، أنا التي تركتني بحجة العادات والوطن والقبيلة ، أنا التي تركتني بحججٍ واهية ، واهية فقط . . . صرت معتكفة لقوانين القبيلة ، جاريةً للعادات ، فأنكرت ذاتي وأنكرت في حق نفسي كل الرغبات . . .

Telegram : iraqkt

يوم من أيام العمر الذي لا يحتسب ، وقفت كل الأجندات عنده ، وكل التواريخ كانت تشابه تاريخاً فارقني فيه ، اعتزلت كل حياتي ، واعتكفت للوجع والحزن اعتكافاً يرضيهما ، انغمست بالوجع كل الانغماس ، لكن إلى متى كل هذا ، إلى متى وهو الذي يبتسم لحياة أخرى تجمعه بفتاة لا يعرف عنها سوى اسم ، يبدو أن القبيلة ، العادات ، ثم الوطن كفاية ، يبدو أنهم كفاية لأن يقتلوني ويحيونهما معاً ، كفاية لأن يموت الحب ويحيا الوهم . . . أمسكت بهاتفي ، نظرت لاسمه المخزن بين كل تلك الاسماء ، نبض الحزن فيني من جديد ، فتحت رسالة نصية ، كنت أريد لو أن تصلني منه رسالة فارغة فقط ، حتى الفراغ يكفيني الآن ، لكن ما وصلني شيء ، كتبت بدوري رسالة ، أكملت كل خطوات الإرسال ، لا يقف بيني وبينه سوى أن أرسلها الآن ، لكنني مسحت الرسالة وأبقيت مشاعري ، لا يمكن أن أتنازل عن كرامتي التي مشيت عليها حافية مسبقاً من أجله ، وهو الذي آمن بأن القبيلة رمز الكرامة والوطن رمز المجد ، جعلني أكرههما وأكره كل الصفات التي رافقتهما . . . فضلت أن أبقي مشاعري بداخلي وأرسلت بالمقابل رسالة لمشايخ :

Telegram : iraqkt

١

«مشايخ يبدو أنني سأموت حزناً إن لم أستعد حياتي ، أنوي أن أخرج من حالتي التي تسكنني وأسكنها ، ما رأيك في أن نخرج اليوم ، نمارس طقساً نسيت أني كنت أمارسه مسبقاً» .

ثواني قليلة ووصلتني رسالتها بالموافقة ، وكانت وجهتنا إلى حيث لا أعلم أنا لكنني متيقنة ، مشايخ تعشق الفن ، وأظن أنها كانت تمارس هواية الرسم حتى منعها أخوها منها حين أرادت أن تعرض فنّها في معرض تشكيلي ، خضعت - لا لشيء - لكنها خضعت لتتفادى نار غضب رجلٍ مثله يتعدّى على أشراف غيره باللغو فيندفع ليلاً بكامل قواه العقلية ويضطهدها خوفاً من أن ينزل الله به عقابه فيُدان بها . . . كانت رسوماتها واقعية حد الجنون ، جريئة حد التعجب ، ومثالية حد الفخر ، لكن ما وقف معها أحد لأنها تعلم جيداً أن مثلها هنا لا يملك حيلة . . . كنت أريد أن أبتعد عن زوايا كانت تعرف عني الكثير ، أريد أن أخالط الناس ، فأكتفي بهم ، أنشغل بمشاكلهم وأمراضهم التي انتقلت إليهم من المجتمع بفعل العدوى ، لذا ارتديت فستاناً أبيضاً انتشرت عليه ورود زهرية شجرتها بحب ، وكأني عدت لتلك الطفلة التي بداخلي بعد أن أنساني إياها سعود . . . عيني تفضحني بحزنها ، لذا سأضع عدساتي اللاصقة ، وسأرسم ملامح الفرح بالقليل من مساحيق التجميل ، وسأكون تلك الملكة التي تخطو بخفة بين الجميع ، سأعود لـ «الوطن» الذي بداخلي حتى من دونه . . .

Telegram : iraqkt

نحن نساءٌ لا نحتاج لرجالٍ كي يطلقوا الأنثى التي بداخلنا فتثور ، ولا نحتاج إليهم كي نفرغ كم المشاعر التي بداخلنا ، نحن لا نحتاج لرجال الوطن الذين نسوا أن نساء الوطن أكبر من مجرد لحظة ، أو قصة مبتورة النهاية التي صنعوها ، لا نحتاج لرجال ما أرادوا أن يعرفوا مفتاح ذلك الباب المؤدي إلينا ، لسنا بحاجة لرجال تركونا بحجة العمل وشاطروا أخريات سذاجتنا في حبهم ، لا نريد رجالاً كل ما يريدونه هو إشباع رغبة سكنتهم بالفطرة ، نريد رجلاً واحداً فقط يستحقنا . . .

Telegram : iraqkt

١

إلى سعود :

يبدو أنه حالت بيننا كل الأشياء ، حتى كبريائي الذي سقط من عيني من أجلك ، كانت بيننا أشياء كثيرة ، أنا ، أنت ، المسافات ، القبيلة ، والكون بأكمله . . . .حالت بيننا تصور أنها حالت بيننا ، ولم يعد بيننا سوى ذلك البين ، تلك المسافة التي تخطت - لعانةً - كل الأمتار ، كيف يعقل لمتر واحد أن يقتلنا ، وآخر مثله يحيينا ، هل تعلم يا سعود؟ هل تعلم أنني بين كل تلك الأشياء التي حالت بيننا كنت مؤمنة أننا سنعود ، واثقة ، حتى خابت كل ظنوني التي آمنت بك وكفرت أنت بها ، يبدو أنني لا أتعلم من أخطائي أبداً ، حتى أحدثت ثقباً لا يمكن لأناملك التي تندس خلسة لتطعنني في ذات الوقت أن تسد هذا المنفذ ، وكأنني بسذاجتي التي تصرفت معك بها وبالحب بكل بلاهة ، ما عدنا أغبياء بعد الآن ، فحين تقف الأشياء بيننا ، نقف على أطرافها نتوجع ونستمتع بأوجاعنا . . . تصدق يا سعود أن القبيلة التي كنت تخبرني عن الحب فيها وأدّتني ، في ليلة ما أخبرتني أنك ستأخذني إليها رغماً عن الجميع ، ستتسكع بي في كل الباحات ، أمام الجميع ، وعلى مرأى من الحب ستعلن لهم

أنني حبيبتك ، لكن أين كل هذا؟ أين وأنا التي مارست أسوأ أنواع الكفر فيني ، تلك القبيلة التي كنت تحدثني عن إيمانها ما مارست الإيمان في حق فتاة مثلي ، تلك القبيلة التي جعلتك لبنت العم ، وجعلتني للعدم . . .

Telegram : iraqkt

كنت كتلك الراقصة التي اعتكفت يوماً للتوبة ، لكنها ما استطاعت إكمال توبتها فعاودت زيارة ملهاها الليلي سرّاً ، ها أنا أخون عهدي بأن أمضي قدماً ، بعد أن وقفت بين أروقة معرض تشكيلي يشبه وجعي ، هذا الفنان يشبهني حد التعجب ، وكأن جرحنا ووجعنا واحد ، كل رسماته تحاكي الوجع بداخلي ، كل خط ، كل تقطيعة ، كل رقصة لفرشاة الرسم على اللوحة تغزلني ، وترسم وجعي بك ، ها أنا هنا أشاهد أوجاع غيري قد ملأت الحوائط ، الفرق الوحيد أن بإمكانها الطيران ، بإمكانها أن لا تلامس الأرض ولا يلمسها دنس البشر ، إلا أنني بعكسها تماماً ، لا يمكنني الطيران ، كنت متيماً بوجع غيرك وكنت أعشق كتابة تلك الأوجاع ، وكأنه خلق للوجع وخلق الوجع له وأنا بينهما ، كيف له أن يقرأ ألف سطرٍ من الوجع دون أن يذرف دمعة واحدة ، ينظر لمئات اللوحات الصامتة التي تصرخ بصمتها بكامل الألم ، كيف؟ هو الذي يعتقد المجتمع أن دمعته محرمة في قانون القبيلة ، وكأنه فهم القبيلة دون أن يفهم حقيقتها ، واضحة كفاية حقيقة أني ما كنت شيئاً يذكر له . . . كنت أرقب المارة ، فشدتني مشايخ ، أخذتني إلى حيث كان فارع الطول وسيم الملامح يقف . . .

Telegram : iraqkt

١

- أهلاً يا مشايخ ، شرفتني زيارتك ، كنت بانتظارك منذ أول يوم تواجدت فيه ، كيف حالك؟

- بخير يا جابر ، ألن تسأل ريناد عن حالها؟

ضحك وهو ينظر إليها ، جابر الذي ارتبط اسمي باسمه منذ الصغر ، يحمل لي كماً من المشاعر ولا أحمل له شيئاً

- أهلاً يا جابر ، يبدو أنك قد تعهدت للوجع في ظل هذه اللوحات التي علقتها لغيرك؟

- أخطأتِ يا ريناد ، نحن نتخلص من أوجاعنا حين نملأ الأوراق ، نمسك بأقلامنا ونبدأ بوضع خطوط الوجع التي ترسم لوحة يسأل الجميع عنها وعن جمالها ، ويزداد خوفنا حين نود التخلص منها ، حين يريد غيرنا اقتناء وجعنا نرفض بكامل ما أوتينا من وجع ، خوفاً فقط من أن لا يحسنوا احتضاننا كلما نزفنا وجعاً جديداً ، تماماً مثل الكتابة ، إن الكتابة وجع نزف حقيقي من ضلع البشر ، الكتابة ، موتٌ بأبجديات أسطر يشاركنا بها الغير ، لكن مشاركتهم لا تطبب جروحنا ، بل تزيدها أملاحاً تقرّح بها أطرافنا فنموت مع صرخات يشاركوننا بها ، كل هذه الكتب ، وجعٌ يحكي قصصنا ، أو يروي أحلامنا ، ويضع ماضينا بين أيدينا دون جدوى ، أما بالقراءة ، فنحن نخلق الوجع الذي أطفأنا فتيله بداخلنا من جديد ، نضيء أطرافه ونسهر على ضوئه حتى ننام ولا ينام الوجع فينا ، هذه الكتابة وتلك حقيقتها التي تسطرينها ، بالمناسبة أنا متابع جيد لكل جديدك . . .

Telegram : iraqkt

١

إلى سعود :

يحدث أن أجعلك محوراً لكل محاور الحياة التي أنا أسكنها ، لأجد أنك مجرد أكذوبة ، وغيرك حقيقة كافية لإرضاء رغبتي بنسيانك وإيجاد محاور جديدة أعيش عليها ، يبدو أنك نسخة مضروبة ، فها هو جابر ، هذا الفنان الذي أثار شرقيتي بجملة وابن عمي الذي ما حرك بي ساكناً ، يبدو أننا يا سعود لا نستطيع إصلاح ما لم يكن تالفاً أصلاً ، لذا لم نكن في يوم من الأيام على مقدرةٍ من إصلاح عادات قبائلنا التي فرضتً فروضها وشرّعت أحكامها لأنها لم تكن في يوم من الأيام منتهية الصلاحية ما دمنا نرضى بها ولا نحاربها ولا يرفضها قلبنا أو تقاتلها رغباتنا . . . ولأن الرجال مجرد أطفال بقلوبٍ منهكة ، يتيمة على أعتابنا تنتظر أن ننتشلها بقبلة ، كانت القبيلة تتحدث بتفكير وجعنا ، تسقينا من شربتها التي تظن أنها ستحيينا بلا عطش ، لأن القبيلة تظن أننا أقوى من أن ننكسر عند عتبة الحب كانت تكسرنا لتقوينا . . .

أتدري يا سعود؟ لم تكن أول من يناديني بوطني ، فأنا أستحق لقب التميز ، أنا أستحق أن أكون الأولى دوماً ، دوماً الأولى ، تصور . . . لكن تصور أيضاً أنني لم أعهد أن أنظر إلى

١

الأشياء من دونك على طبيعتها ، كنت أرقبها بعينك ، فأجدني أفضل دوماً حين تنطقني بكلمة ، وكأنني أبجدية لا يعرفها سواك ، تفصيلاً لا ينطق به غيرك ، حتى تحررت منك ، تحررت رغماً عني لأنك فضلت العادات والقبيلة علي ، لأنك فضلت أن تكسرني على أن تجعلني ألين لسواك ، أنا يا سعود التي ما أردت غيرك ولم أرد ، أنا التي كنت أظنك كل الرجال وكل القبيلة . . . لأنك اخترت الموت لي والحياة لسواي ، كنت قد تحررت كروح تحررت من عبودية الدنيا فانتقلت لبارئها ، كنت قد تحررت من عبودية الأشياء التي ترغبها أنت ، بل وتحررت منك كلك فما عدت ابنة بلا قبيلة تناسبك فترفض أن تكون جزءً منها ولا ابنة الوطن الذي ما كنت جزءً منه . . .

Telegram : iraqkt

عدنا للمنزل ، ومعي كيس قد امتلأ بالأوجاع بعد مرورنا بمكتبة صغيرة تشبه بحنينها للبشر حنيني إليه ، حكايات كثيرة وقصص قد نصحني بها منذ زمن ، لكن بفعل ضيق الوقت بالحب ما كنت أجد وقتاً لشيء آخر سواه ، وفعلاً اقتنيتها دون تردد ، وضعت ثيابي وارتديت ثياب النوم ثوبٌذ من الحرير مطرز بدانتيل أسود وكم كان للحرير قصص أخرى تختبئ خلف حمرة وجنتي . . . أطفأت الأنوار وأبقيت ضوءً خافتاً أستطيع القراءة عليه ، وضعت شريطاً مسجلاً بصوته يحكي قصائد نزار ، لا أعلم متى التوبة من ذنبٍ ما اقترفته بيدي بل بقلبي ، متى الخلاص وأنا التي أضع سعود في كل مكانٍ وفي كل لحظة ، ها أنا حتى سمعي يرفض لحناً أبجدياً لنزار بغير صوت سعود ، سعود الذي يعشق الفن لكنه يكره الأبجديات ، يبدأ بها وينتهي من أجلي فقط ، ليت الأمر بهذه البساطة ، أن تحب ما أحب فقط وتقف عنده ، كنت أستمع لربما أستطيع أن أكرهه كلما سمعت نزاراً يقول بصوته الذي كذب القول :

«أنا ما تورطت يوماً
بمدح ذكور القبيلة
ولست أدين لهم بالولاء

Telegram : iraqkt

ولكنني شاعرٌ
قد تفرغ خمسين عاماً
لمدح النساء»

لربما أكرهه وهو الذي تفنن بجعل رجال القبيلة مجرد قلوب متحجرة قاسية ، ونسائها مجرد جاريات ، لربما أكرهه كلما صدح صوته بإحساس نزار وهو يخط بقلمه فيكتب :

«إني خيّرتك فاختاري
ما بين الموت على صدري
أو فوق دفاتر أشعاري
اختاري الحب أو اللاحب
فجبنٌ أن لا تختاري
لا توجد منطقة وسطى
ما بين الجنة والنار
يقتلني جبنك يا امرأة
تتسلى من خلف ستار
إني لا أؤمن في حبٍ
لا يحمل نزق الثوار
لا يكسر كل الأسوار
لا يضرب مثل الإعصار
...»

Telegram : iraqkt

لا أعلم لِمَ لصوته وجعٌ خاص في طقوس خاصة كلما قرأ لنزار أو استمعت لقصيدة في ليلة شتوية لم يكن فيها معي ، ترى هل أكرهه كلما أدركت الفرق بين حب نزار وخيانته لي؟ ترى هل أكرهه كلما قارنت مدى الحب الذي كان بقلب نزار ومدى القسوة التي كانت بقلبه؟ ثم لا أعلم كيف لي أن أقرأ وأستمع بآنٍ واحد ، وأنا التي أعير الشيئين منهما كل الاهتمام ، فسعود هناك بصوته ، وجابر هنا برسوماته وأنا بينهما أتوه ، أمسكت بأول كتاب في ذلك الكيس فشدني كتاب على الرف يناديني ، كان قديماً جداً يكسوه الحنين ، فتحت أول الصفحات ، لأجد إهداءه الخاص :

«إلى العذبة ، إلى ريناد ،

في يوم ما سيبدو في عينك وجع وفي شفتيك موت ، احرمي الأولَ شفتيك ، وامنعي الثاني عينيك . . .

الموجوع بقدر وجعك . . .»

ياه كيف للغرباء أن يحسنوا وصفنا بجملة ، خبرتهم كافية لأن يسكنونا بنظرة ، ويفهمونا بسلام ، يبدو أن هتان الكاتب العذب الذي قابلته صدفةً فَرُحْتُ أحمل كتابه ليحمل شيئاً خاصاً بي أكثر من مجرد كاتب ، وحكايته أكبر من صفحات ذلك الكتاب ، كان قد ترك رقم هاتفه بعد أن تغزل بعينيّ اللتين امتد الكحل من فوقهما ، وكان بوجع ذكرى وطنك يقتلني . . .

Telegram : iraqkt

١

طويت الصفحة ، لأبدأ من حيث فعلاً بدأ فأجده قد كتب بكل وجع . . .

«نحن الذين أرغمنا برحيلهم على الوجع ، وهم الذين أرغموا برحيلهم على السعادة . . .»

سرَت رعشة غريبة بين أوصالي ، خفت أن أقلب الصفحة ، امتلأت عيني بالدموع دون سبب ، هو هكذا الحب ، يجعل كل الكلمات ألم يقطعنا ، يجعل كل البدايات وجعٌ يملأنا ، والنهايات ألمٌ لا يكاد يطببه أحد ، وقفت عند تلك الصفحة ، يدي بين أن تطوي الصفحة وبين أن تغلق الكتاب ، بين الخوف والوجع والرغبة ، كنت أقف ، وتقف أناملي على أطراف الصفحة ، قررت أن أتخذ خطوة شجاعة ، قلبت الصفحة ، فكانت تلك صفحة مقدمته الغريبة جداً ، مقدمته التي اختصرت الحب وابتدأت الوجع . . .

«يحدث أن أكتب موتي على بدايات حبي لك ، أكفنني وأدفنني بين أضلاعك التي كانت لي وخُلِقْتِ منها ، وأنت يا بذيئة الحب ، ترقصين على قبري . . . »

انسابت دمعتي وكأنها ما كانت ملكي ، مسحتها بطرف سبابتي ، ووقفت أمام مرآتي ، نظرت إلي ، فوجدتني أبكي الوجع كله بدمعه ، وأمسح ندوب الحنين تحت عيني وكأنني أداويها رغم أنها لا تلتئم أكثر من ذلك ، وأدركت أنني وهتان نتشابه بالوجع ونختلف بالجمال ، لذا لن أفكر مليّاً بوجعه كي

Telegram : iraqkt

لا أعشقه ، فيقف بيننا الجمال ويردينا . . . أنا التي كنت أتفه من سعود الذي وضع القبيلة عذراً ، أنا التي وضعت الجمال عذراً كافياً لأن أنتقي الحب فيه ، أنا التي ما أتقنت الحب إلا حين أحببت سعود الذي ناسب معايير الجمال في قاموس حياتي القصيرة ولربما كان جزائي الموت فراقاً . . .

Telegram : iraqkt

إلى سعود :

أحمّلك كامل مسؤولية كرهي لنفسي ، وشفقتي عليها ، أحمّلك كامل المسؤولية يا سعود ، أنت الذي صنعت مني دمية جميلة جداً ، دمية فاق جمالها عناوين الصحف التي تدفع بالقارئ لشرائها بكامل سذاجته فلا يجد فيها حقيقة ، أنا الدمية التي أدركت من خلال زجاج مرآتها التي هشّمت جمالها إلى ذكرى قديمة ، أنت يا سعود أنت الذي صوّرت حالي على أنه فاق الطبيعة ، فقط لأنك موجود ، لأكون ملاكاً قد تحرر بيديك من عالم ما وراء الطبيعة ، أنت يا سعود أنت الذي فعلت كل ذلك فأوهمتني بالكمال فيك ثم رحلت ، لأجد نفسي أنهار بأكذوبة المثالية فأفقدني وأفقد كل أحوالي ، ولا أجدك هنا ، لا أجدك هنا لتحملني وتعيد لملمت شتات ملامح الجمال التي وصفتها بغزلك فيني ، أنا يا سعود التي ظننت أننا نكتمل بفعل ما نريد ، أنا التي حطمت شيئاً كان محطماً أصلاً ، هل تدري أن باستطاعتنا أن نحطم ما كان محطماً ، أنا للتو عرفت حين بت أكثر فساداً من بعدك ، أتعلق بكل الرجال الذي يبتدؤونني بكلمة غزل ، ثم أرحل ، تعملت منك الرحيل . . .

Telegram : iraqkt

سأكون سيئة في حبك ، سأنساك بحبٍ جديد ، أجل يقال أن الأطفال دائماً ما ينسون دُمَاهُم القديمة بدمية جديدة أجمل ، فهل أنساك؟ وهل كنت دمية كما كنت أنا بين يديك؟ سأحاول مراراً وتكراراً أن أسيء لحبك بهذا السوء ، وسأكون جيدة كفاية لأن أنساك رغم خيانتي لك ، لا . . لا لست أخونك ، فمنذ بادئ الأمر لم نكن سوى أغنية منسية مع الزمن ، فضلاً عن أنك لا تعرف إلا الخيانات حتى في حضوري ، أما أنا كنت الأنيقة في الحب ، الجيدة فيه التي لا أعرف إلا الوفاء لك حتى في غيابك ، أستيقظ في صباح من الصباحات المتأخرة ، أرفع هاتفي وأشاغب عيني بالنظر إلى الهاتف على مضض ، فأجد رسالة من رقمه الذي تركته مجهولاً كي لا يُفتضح أمري وأنا التي كنت معك لا أخاف فضيحة الحب فيك ، فتحت الرسالة التي تقول :

«يبدو أن الوجع حررك من ذاتك ، فتحررت منه . . .»

ذلك الإنسان قبل أن يكون كاتباً ، الذي وضعته الأيام ليجبر كسر قلبي ، وضعه القدر منذ زمن ، وها أنا الآن أتخذه مخرجاً من حبٍ قديم لعلاقة أزلية أريد أن أبنيها من جديد ، فكتبت له :

Telegram : iraqkt

«يبدو أن الوجع أرغمك على أن تقف عندي لتتحرر بدورك منه . . .»

فرد ليوثق الأوجاع كلها فينا :

«وحدهم الموجوعون هم من يحسنوا كتابة الوجع . . . بل وحدهم الموجوعون هم من يرغموننا على البكاء لوجعهم ، بخلاف الحب الذي يزهرنا دمعاً لا تحصده أعيننا . . .»

ها أنا الكاتبة ، الأديبة ، والشاعرة ، ها أنا كل الأشياء في حضوره وغيابه ، وكأن الأمس لم يكن والذكريات لم تكون إلا لأكتب وأكتب وأكتب ، لو كان نزاراً قد تفنن بوجود النساء ، فأنا تفننت بوجود رجل واحد يا سعود ثم مارست الخطيئة بالحب لسواه . . .

Telegram : iraqkt

إلى سعود :

لا أحتاجك الآن ولم أحتاجك ، تلك الفتاة التي كانت تريد منك كلمة أحبك كل حين لم تكن بحاجتها ، فشتان بين الحاجة والرغبة يا سعود ، يبدو أنني وجدت غيرك ممن يسد رغباتي بالحب ، فلا أفضل من الحروف ولا أجمل من الأبجديات حين نتوسدها ليلاً كحضنٍ لا يدثر سوانا في ليلة شتوية ماطرة ، ومعطفي الذي كان بين يديك ، اتركه لتلك ، اتركه لغيري ، فأنا أسير في ليلتي هذه عارية القدمين ، حافية المشاعر ، لأوجعك بقدر وجعك لي ، أكتبك لتبكيني حين تقرأني وكلماتي أخرى لك . . . إن شئت أن تغضب . . اغضب ، وإن شئت أن تموت وجعاً مت ، أتعلم أنني بين هذا وتلك طوال عمري ، أنت يا سعود الذي علمتني أن أقسو بعد تلك اللحظة التي انتشلتني بها من وحلٍ ما كان لي . . .

Telegram : iraqkt

عجيبٌ أمرنا نحن البشر ، نوجع من يحبنا ، ونحب من يوجعنا ، وكأننا مرآة تعكس كل المشاعر فتبادلها من لا يستحقها ، كنت قد عملت بنصيحة تليق بي ، تناسبني أنا وميولي ، فامتلأت أرفف غرفتي بالعديد من الكتب التي لا تشبهني ، يا الله كم أنا مختلفة الآن ، أقرأ لنزار ، أحب جبران ، وأعشق كلمات أدونيس ، لكتابات غادة السمان طقوس خاصة لدي حين أقرأها ، ولِمَيّ زيادة ليلات شتوية دافئة ، ولغازي القصيبي كل الحب ، وكيف ذلك دون صوتك يا سعود ، تخيل أنني كنت أمارس طقوس الوجع دونك ودون ذكراك وكأن الكتب كفيلة بأن تحضّرك غياباً ، ورغم تمردك عليها ونكرانك كنت على الأقل تمارسها من أجلي ، وهذا أكثر ما يملؤني حيرة أنك مارست نوعاً من أنواع التضحيات في الحب وأنت الذي لا تؤمن بالحب . . . كنت مختلفة تماماً ، أعرف الكثير من المشاعر ، وأكتب الأكثر ، وكأن تجربة واحدة كانت كفيلة بأن تجعلني ملكة الأبجديات ، كنت أقرأ وأقرأ وأقرأ ، حتى وصلت إلى تلك الأسطر ، فوقفت عندها ، تبعثرت ، تاه قلبي ، وماتت كل أبجديات الغد في أسطري ، وقفت عند . . .

«سأخبركم عن بنفسج عينيه

Telegram : iraqkt

هل تعرفون زجاج الكنائس؟
هل تعرفون دموع الثريّات حين تسيل؟
وهل تعرفون نوافير روما؟
وحزن المراكب حين الرحيل
سأخبركم عنه . . .
كان كيوسف حسناً
وكنت أخاف عليه من الذئب
كنت أخاف على شعره الذهبي الطويل
وأمس . . أتوا يحملون قميص حبيبي
قد صبغته دماءُ الأصيل
فما حيلتي يا قصيدة عمري
إن كنت أنت جميلاً وأنا حظي قليل . . .»

وقفت عند ما كتب نزار ، وقفت عند تلك الأحرف التي كتبها وشعرتها ، عشتها فدنوت من أبجديات مشاعرٍ كتبت فيها ، وقفت عند موت قلبي ، حظي العاثر بفقده ، وقفت عند حزن المراكب حين الرحيل ، كميناءٍ لا يعرف مراسي سفن الوجع ، كانت تحط في كل مكان ,وأي مكان ، كانت تحط فيني ، تحملني للوجع ، وتستقبلني بالوجع ، وقفت عند ما كتب نزار ، لأجدني ، أجدني هناك ، أعرفني جيداً هنا ، فهذا هو وجهي القديم . . . وكأن نزار كتبني وكتبك معي ، وكأنه سبقنا كم عام ليكتبنا ، أنت يوسف الذي فقدت بصر قلبي في الحب

Telegram : iraqkt

دونه ، أنت الذي أصبتني بعمى الرحيل ، وكنت أنتظر من عودتك أن تشفيني ، أن تعيد إلي بصري بالحب ، كنت أنتظر منك أن لا تتركني لسواك ، أن لا تبقيني هنا بينهم غريبة دونك ، وكأن نزار يعرفك ويعرف حسنك ويعرف قصتنا ، لذلك أعطاني الأمل بأن يعود شخص ما يحمل برائحتك إلي ، ثم سلبني كل شيء واختصرَني ، واختصر لك بحظي العاثر الذي وقف عثرة بيني وبينك وبين حبٍ يرنو للكثير . . .

Telegram : iraqkt

إلى سعود :

تظن أن الرحيل شيئاً يمكن نسيانه؟ هو موتٌ باردُ الأطراف ، يلمسني في ليلة قارسة ، يجمد أطرافي بلحظة ويحمّلني مرضاً مزمناً لعدة أيام ، وفي كل ليلة أظن أنني تداويت بها ، يعاود انتشال ذلك الأمل ، فأجد أدبي صعب بذكراك ، تقف كل الأسطر عند كلمات كبار الأدباء ممن ذاقوا مشاعر الكون كله فاختصروها لنا ، وأجد أغنيات الأمس ، لوحة من ألمي الذي بروزته لأذكرك كلما نظرت إليه ، لا يكفيك الرحيل ، لكنك تلاحقني بحضورك رغم غيابك ، ترى هل تشعر ببعض ما أشعر به ، هل يأمرك ضميرك بأن تشاطرني في ليلة قمرية ذكرى على أطراف لحن السماء الحزينة ، ترى هل تسأل النجمة الساقطة أمنية تحققها من أجلي؟ أنا أمارس طقوس ولازلت ، لكنني أتعمد شقلبتها بكل اتجاه كي أدّعي أنني لا أمارس طقوسك ، ها أنا أمارسك في جسدي أمام رجلٍ غيرك ، تصور أنني أستغل تفاصيلك لأثمر ثورات قلب رجلٍ طاهر القلب والقلم . . . تخيل أنني أسأل نفسي في حضوره هل أمارسني بوجهك الذي سكنه؟ فأنا التي ابْيَضَّ قلبي حباً فعَمِي . . .

Telegram : iraqkt

في صباح يوم الأحد مشاعر متدفقة تنساب إلى كل أطرافي لتتورد وجنتي ما بين الخوف والخجل ، وكأنني أخجل من صباحات يوم الأحد من شهر مارس ، هذا الشهر الذي بدأت فيه كل حكاياتي ، ها أنا أجلس على طرف منضدة التوقيعات ، اسمي يسبقني ، وكتابي يملأ مساحات المنضدة التي ما عادت فارغة ، بجانبي هتان ، أخي الذي لا يحق لي الحياة دون مراقبته لي من بعيد وقريب ، ولأنني ابنة هذ الوطن الذي يبجل للرجل أفعاله ، فكان من قريب حقاً له بقدر ما حق لي أن أعيش ، ابن عمي جابر بالقرب من أخي ، يرقبني بعينيه الغريبتين ، لا أعرف ما سر اهتماماته العلنية هذه؟ هتان وحده الذي كان موجوداً للا شيء ، حب لا مشروط ولا سببي ، هتان الذي دفعني لإصدار هذا الكتاب وفق خبراته ووساطاته الكثيرة ، نعم وساطة طالت حتى الأدب ، تغلغلت في كل الحياة حتى أنبتت من سمّها شجرة تفرعت فطالت قمة الأدب . . . هتان الكاتب والأديب الذي امتلأت من أمامه طوابيراً من المعجبين والمعجبات ، أسبقْتُ المذكر على المؤنث ، لأنه هذا ما كان فعلاً ، لم يكن يكتب لغرض ، ولا يبتسم لغاية ، فقط كان يكتب للمرأة ليشعر بها الرجل ، وأنا هنا

Telegram : iraqkt

جالسة أفرك أصابعي ببعضها ، خائفة من أن أسقط مع أول كتابٍ لي ، وخجْلى من ارتباكي في حضرة إعجاب أحدهم ، فها أنا مع أول إصداراتي ، ناجحة في مهنتي وموهبتي ، لي من إعجاب القرّاء في المجلات ومواقع التواصل الإجتماعي آلاف المتابعين ، في كل سطرٍ أكتبه دافعٌ لأستمر من بعد كلمات المدح والثناء ، ثم أن مشاعري لا تكبح ، ورغباتي في أن أسطر الوجع وأنهيه بنقطة في كل مرة لا تنتهي ، ناداني من بين كل الأصوات التي كانت تطلبه توقيعاً ، أو تسأله عن ظرفٍ من ظروف القصة . . .

- سيدتي ، هناك معجبة تريد محادثتك . . .

- أهلاً حبيبتي ، كم يسعدني أن ألتقي بك شخصياً ، فأنا أكثر إعجاباً من أن لا ألتقي بصاحبة تلك المشاعر والحروف ، أتمنى لو أحصل على توقيعك في نسخة من هذه الرواية التي لابد وأن تكون جميلة كصاحبتها . . .

- بكل تأكيد عزيزتي ، وكم يشرفني حضورك وتغمرني حباً كلماتك ، لابد وأن تجدي شيئاً منك في هذه الرواية ، فأنا تعمدت أن أقف في جسد الرجل وقلب الأنثى . . .

أمسكت بنسخة من ذلك الكتاب ، وكتبت لها على أول صفحة حمَلَتْ من أحرفك اسم روايتي «سيعود»

«لن أتمنى كغيري لكِ قراءة ممتعة ، لكني أتمنى لكِ حباً صادقاً وقلبَ رجلٍ يستحقكِ . . .»

Telegram : iraqkt

كانت تنتظر بلهفة ، تسترق النظرات إلى ما كانت تخط أناملي ، يا الله كم هي النظرات من بعدها انهالت عليّ لتغمرني نشوة حب ، وتسعدني بلهفتها وشوقها لما يكتب ، كنت أمتلك خطاً جميلاً مرتباً كقلبي الذي رتب أولوياته ليكون للذكرى ثم الذكرى ثم الذكرى ثم أنا ، أتعمد أن أخط شيئاً يميز كل حامل للرواية ، حتى حضر دون موعدٍ مسبق ، حضر وأنا التي ما أعددت خطاباً لمشاعري في تلك اللحظة . . . تبعثرت كلماتي في قلبي ، تحشرجت الأحرف على طرف القلم فساقت الكلمات على الورق ببشاعة على أثر رعشات الوجع التي اجتاحتني . . .

وكنت أنا سعيدة أتراقص على أنغام «سيدتي» التي ملأتني فرحاً سيدتي التي بدت مغرية في نظراته التي تتبع شفتي وتنتظر ابتسامتي . . .

Telegram : iraqkt

إلى سعود :

أنت لن تعود ، لن تعود ، لن تعود إلا محملاً بالوجع الذي الْتَحف ملامحك ، وأنا صاحبة ندوب الحب والملامح البشعة من دونك لن أموت ، فها أنا من حولي محبة تشتعل فتغمرني دفئاً كافياً لأن تصدّقه ملامحي فترضى بكل نُدَبِ الحياة ، أنا لا أحتاج لرجلٍ كي أشعر بالرضا عن أنوثتي ، ولا أحتاج لحب رجل كي أدرك ذاتي ، لكنني أنثى شرقية أتعلق كما أخبرتك مسبقاً بكل الأشياء الراحلة ، لذا أنت . . . أنت لا تبالي فأنا لن أكف اهتماماً ، وأنت لن تكفّ غياباً . . . اقرأ ما حلّ بي في غيابك واستمتع بجرحي الندي الذي يشغل شرقيتك ، أتمنى لو تذكرني حتى لو بجرح ، تخيل أنني أرتضي منك حتى الوجع ، لا يهم لو تخيلت أو لم تفعل ، فالقادم كافٍ لأن ترحل ، وكافٍ لأن أرحل ، أنا ابنة المدينة ، وأنت ابن البادية ، أنا ابنة العادات ، وأنت ابن القبيلة ، وشتان بيننا يا سعود . . . شتان بيننا وبين كل ما فينا . . .

Telegram : iraqkt

وقف ، بيني وبين الوجع ، بيني وبين الذكرى ، وقف من خلف المنضدة ، ممسكاً بكتابي ، دمعة غريبة وسط مقلتيه ، وكأن القبيلة سقطت سهواً من قلبه عند هذه اللحظة ، وكأن الوحش الكاسر الذي رسمه باسم رجال القبيلة ما حضر معه ، وقفت ورعشة تسري بداخلي ، تأمر قلبي بأن يتراقص فرحاً ، ثم يموت على رحيله . . . وفي ذات الوقت كان دائماً هنا ، يقف بجانبي ، يزرع ابتساماته ليحصد سواها ، كان دائماً هنا ، في كل حين ، وفي كل لحظة ، تخيل أنه كان بجواري يقوّم أبجدياتي لخبرته ، هتان ذلك الرجل الذي ما عهد الرجال أن يكونوا مثله ، بابتسامته التي يتصنعها رغم الوجع المجهول ، كان هنا وكنت هناك ، كنت بالقرب من ذكرياتي وأحلامي ، أجهل كيف قلوبنا تتلاعب بنبضات عاشت فينا من غيرها ، رمقه بعين الثائر حباً ، ورمقته بعين الأنثى الغارقة في بحره ، وكان يقف ينتظر مني أن أبادر وأنتظر منه أن يبادر ، هذه اللحظة التي يجعل فيها الكبرياء قلوبنا كفئران تجارب ، أمسكت بكتابي ، أمسكت به بين أحضاني فقد سكن الأسطر ، وكتبت بلا سابق تفكير ، كتبت بلا رغبة بأن يقف قلمي :

«تخيل يا وجعي ، ابن القبيلة ، شيخ البادية ، سيحمل

Telegram : iraqkt

وجعنا بين يديه ، سيتواضع ويرفعنا إليه . . .

ريناد ضحية تحيير بنت العم لابن العم ، ريناد المصابة بحمى رحيله»

هكذا اتهمت كل الأشياء ، ألقيت بالإثم كل الأشياء التي ما كان لها دخلاً ، رقبت يديه ، لم أجد محبساً يزيد وجعي ، وكأنه انتزعه كما انتزع قلبي مسبقاً ، هم هكذا الرجال أوجاعهم لا تنتهي . . .

في آخر يوم من أيام الاحتفال بإصداري ، أهداني كيساً صغيراً ، وابتسم :

- أعتقد أنها أنسب هدية يمكن أن أقدمها لأديبة ستعلن للعالم عن أنها أفضل أديبات جيلها قريباً . . .

- لم يتوجب عليك إحضار شيء ، ثم إني لم أحضر لك شيئاً بالمقابل . . .

- حين يهديك شرقيٌّ أتقن الحروف شيئاً ، لا يتوجب عليك إحضار شيء بالمقابل ، فحامل الحروف لا يحمل لك جميلاً . . .

ترى هل كان يتوجب عليّ أن أقول شيئاً ، هذا المخلوق الذي لا أعرف ممّ خلق؟ تُرى . . معجونٌ بأي طينة؟ جلست على سريري وأخرجت ما كان بداخل الكيس ، دفتر صغير جداً ، بضع كلماتٍ عني ملأت صفحات الدفتر ، وفي النهاية كتب . . .

Telegram : iraqkt

ا

«لكِ فقط انحنى قلبي ، فأدركت أن الحب يستعبد قلوبنا ، لأدركَ في كل الصفحات ، فيقف أدبي خوفاً من أن أفضحني»

Telegram : iraqkt

إلى سعود :

هذا الكم من الحب يحتاج مني أن أبادله شيئاً بالمقابل ، لكنْ كيف وأنا مملوءة الذكريات والأحلام بك يا سعود ، كيف وأنا التي أحملك بداخلي ضلعاً لا يذوب ولا يتهشم ، أطلق سراحي ، أخبرني أن أحب سواك ، واجبُرْني على أن أكرهك رغم كل ما فعلت ، فأنا شرقية تعلقت بك ، ولا زلت معلقة بينك وبين قلبك ، لا زلت أنتظر منك أن توجعني أكثر كي أنساك ، ولكن هل أنساك؟

هل يحدث وأنساك؟ هل تعتقني باسم القبيلة ، هل تتركني؟ من غيرك يستحقني ، أوَ يوجد من يستحقني سواك؟ أنا التي ظننت أنك شيخي ، شيخ البادية المكفهرة فيني دونك ، العطشى والظامئة في حبك ، سيدي وسيد العادات . . . علمني أن لا أحتاج أحداً ، علمني أن لا أحتاجك ، علمني أن لا أحتاج أن أحتاجك . . .

Telegram : iraqkt

أمسكت بهاتفي المحمول وأرسلت رسالة كنت أتمنى لو تكون قصيرة لكنها كانت تحمل مني ومن مشاعري التي أكنها لغيره الكثير ، أمسكت بها وكتبت ما كنت أتمنى لو أكتبه لسعود ، فكتبت بكل مشاعري له وأنا لا أقصده فيها . . .

«في كل حرفٍ أرسلته قصة لا يمكنني أن أتجاهلها وتلك الصورة التي جالت خيالك لتضعها على ورقة بيضاء بكلماتك فتملأ تفاصيلي بها تعني لي الكثير ، بل تعني أنني لم أفارقك لحظة ، بل كل لحظة حملت مني ومن تفاصيلي ما لا تنكره أناملك ولا يردعه قلمك ، أنا يا هتان فتاة لا يمكنها أن تحمل حباً لا يسكنه ضلعٌ شابَهَ ضلعاً خلقت منه ، وأنت تحملني بداخلك لتزرعني وتحصدني ، ها أنا أحمل كلماتك وأحتضنها لأطبعها بداخلي ، فأجلعها تنساب مع قطرات دمي التي حملت حبك فتدفقت إلى كل أوصالي ، في ظرف أيام ، وفي ظرف كلمات ، صرت أملكك بداخلي كما تملكني ، الآن ، أحملك بين ثنايا قلبي كما أنت تحملني ، رغم أنني أغلقت أبواب الحب ، وعمدت أن لا أحب أحد ، ربما كنت أخاف الفراق ، أو أهاب الجنون ، لكنني ما التفت يوماً للحب ، إلا الآن . . .»

Telegram : iraqkt

أدرت ظهري لحب هتان ، حين كتبت كذبتي الأخيرة . . . كيف أدير ظهري؟ أديره حين أزرع الحب بكل دقة ، وأحصده في رغبتي بسواه ، أدير ظهري حين لا أبادله إلا الكذب ، أتخيلني مع سواه ، وأبادل سواه الوجع ، ثم أتسلل في كل لحظة إليه وأنا أرغب في أن أعود لسواه ، كنت سيئة حين قررت أن أبدأ قصة حب جديدة في ظل أخرى لم أنهها ولا أعرف كيف أنهيها أصلاً . . .

لم يجب ، ولم يرسل حتى رسالة شكر على هذه الأسطر التي ما عنيته فيها دون أن يعلم بما كنت أكن وما كنت أخبّئ ، لم يرسل لي كلمة واحدة يخبرني بأنّ ما مضى مضى ولا حاجة للندم ، للشكر أو الخجل الآن ، لم يقل أنني لست مضطرة لأن أبرر امتناني بحب ، لم يقل شيئاً لم يرسل حتى رسالة فارغة تشفي غليل أنثى نطقت بحبها للتو . . . أغمضت عيني فدخلت في نوم لا يمكن أن يكون عميقاً وأنا التي أنتظر رسالة من محبوب لاً أكاد أن أبادله الحب ، للعاشقين قدرة غريبة من الصبر والانتظار وكنت أعيشها وكأنني منهم وفيهم وإليهم أعود ، قدرة لا يمكن للبشر أن يدركوها بهم دون الحب ، وكأن الله زرع الحب فينا لندرك أشياء لم نكن ندركها ، وصلتني رسالة أيقظتني على مضضٍ من قلبي القاسي بالحب . . .

«وأنا الذي ما كنت أنتظر منك إقراراً ، ولا مقابلاً لهذا

Telegram : iraqkt

الحب الذي سكنني عمراً من أول لحظة لامست بها يدي يديك عن طريق الصدفة التي اختلقتها عمداً ، حين انسابت بالقرب من سبابتك فاعتذرت بفرحة عارمة تملأني ، أنا الذي كتبت لك أول إهداءٍ في حياتي أعنيه ، أول كلمة أنطق بها بكامل رغبتي دون مجاملة ، أنا الكاتب الذي ما كتبت لسواك بكل هذه المصداقية والرغبة في الكتابة ، أنا الإنسان الذي ما خضع ضميري لغير حبك ، أنا الذي أذكر تفاصيلاً من عمرك أكثر مما تدركينها أنت ، كنت أرقبك بصمت ، أمضي من خلف طيفك ، أسرع كلما لمحتك في مكانٍ كنت أعرف جداً أنك ستكونين به ، ورغم أنك خلف قضبان الرجال في عائلتك فما كانت تسمح لي الفرص بالتسلل إليك بنظراتي لأنك الدرّة التي وجب عليها البقاء في مكانٍ آمن ، ورغم أنني لا أؤمن بأنه يجب على «رجل البيت» حماية عرضه بدفنه ولا يجب عليه الحفاظ على شرفه ببتر أطرافه لكنني مؤمن من أنه وجب عليهم الخوف على تفاصيلك العذبة . . . كان يكفيني حبي الذي أحمله بداخلي حتى وإن لم تبادليني ربعاً من أطراف أجزائه ، أن تجيبيني بكل تلك الأسطر التي تشابهني يعني أنني عاشقٌ قد وصلت لقمة العشق فيني ، أنا يا ريناد لا أريد منك سوى قلبٍ يستمر بهذا الحب ، لينتهي ببيتٍ لا يكاد أن يكون صغيراً ، أسرة ، وابتساماتك التي تحيينني ، فلتخضعي من بعد إقرارك لقوانين الحب ، ولتقفي بشموخٍ وإيمانٍ به ، رغم

Telegram : iraqkt

مسافات الوطن أحبك يا وطني . . .»

وطني ، وطني ، هذه الكلمة التي توجعني ، كيف له أن يدركها ، أخبرنني أنني وطنه ، وليته لا يهجر هذا الوطن الذي لفظ حبه . . . قلّبت الكلمات ، وأدركت أني عاجزة عن أن أتراجع أو أعتذر ، كنت قد أقررت بما لا أريد ، واعترفت بحبي لسواه له ، ترى كيف لي أن أخيب ظن هذا الحب؟ وأنا التي أعيش عمراً كان لسواي ، أنا التي أعيش عمراً لأسبابه ، أنا التي أذكر تفاصيل هذه الندبة التي لولاه لكانت نهايتي . . . كيف لشرقية الطباع أن تخون أو تكذب في الحب وباسم قداسته التي مارستها العصور . . .

Telegram : iraqkt

إلى سعود :

لا أملك حق إخبارك بشيء الآن سوى تفاصيلَ ستقتلك وتوجعك بقدر وجع أسكنته فيني . . . استوطنني وجعك حتى تغلغل بداخلي فمـارسـته من أجلك . . . تخـيل أنني وطن سواك ، ، مساكين أبناء القبيلة ، يعيشون أعواماً وقلوبهم لسوى أزواجهم رهينة ، هذا ما ظننت ، هذا ما كتبته لي على أسطرٍ قبل النوم ، ولكن هل كنا كـذلك يا سـعـود ، هل جالت في خواطرنا صورٌ ونحن في أوج الحب؟ أنا يا سعـود التي كنت أبحث عن منفذٍ منك إليك ، تعلقت بمن أحياني عمراً مضى ، وعمراً لا زال ينقضي . . .

Telegram : iraqkt

استيقظت ذات صباح ، بعد عامٍ كاملٍ من الحب العفيف الذي لم يشأ هتان أن يطول ، كان يريدً لوقاره أن يكتمل بعقدٍ حلالٍ لا ينقض إيمانه بأنه صالح ، رحت أتحمم على عجل فقد تأخرت كثيراً ، بضع ساعات قليلة تفصلني عن يوم قرأت فيه ، وسمعت عنه ، يوم أهاب أن أبحر في تفاصيله فأغرقً في عتمة خلقتها بيدي ، رجل أحبني وأنثى ما أدركته حتى إلا أديباً ومنقذاً ، كنت أخاف أن يفتضح أمري في أول أطراف ليلتنا الأولى هذه ، ألف فكرة تصرخ برأسي ، إلى جانب مشايخ التي كانت تزيد توتري وخوفي ، كانت مرتبكة ، ملامحها حادة ، وغضبها على كل هذا الوقت الذي قضيته بالنوم بادٍ ومخيف . . . اليوم يتقدم هتان لخطبتي من أبي ، يتقدم هتان وأبوه البسيط لخطبتي من عاداتنا التي كبّلتني ، دون أن أفكر بفارق الوطن ، وفارق «الكل» . . .

Telegram : iraqkt

إلى سعود :

ارتديت الأبيض وتزين شعري العسلي كما تحب بوردة بيضاء لطالما تمنيت أن يتزين رأسي بها ، انسدل الوقار من خلال ملامحي التي بدت طفولية بدمعة تسألني عنك ، كل شيء كما كان مخططاً له ، الفرق الوحيد أن هذا الحلم على أعتاب سواك . . . ما زلت لا أعلم لِمَ كنا نضع البياض رمزاً للعفة أنا وأنت ، وهو متعلقٌ بالموت أكثر من سواه ، هل يا ترى هذه الخطبة لحدي الذي أراده مجتمعي لتلك العفة المقدسة فيني ، تصور أنني كنت أفضل أن أرتدي الأسود في هذا اليوم ، حداداً على أحلامي وقلب هتان ، هل كنت أحبه فعلاً ، هل كان يحبني ، وهل كنت أنت موجوداً أصلاً لتجيبني؟

Telegram : iraqkt

دخلت بخطوات ترتجف ، أريد لأمي أن تحمل خبراً يسعدني ، نظرت إلي بملامحها المعتادة وعاودت النظر لهاتفها ، هل فقد هتان رغبته بأن أكون له؟ أم بدت الكذبة جيدة كفاية لأصدقها؟

دخل أبي وأخي من خلفه يجران من خلفهما حمق العادات وغضب الوعود التي رحت ضحيتها ، اقتربا وصفعني صفعة واحدة ، أدركت من خلالها أنني ارتكبت ذنباً عظيماً في الحب ، ما كان يجب لفتاة مثلي أن تحب مرتين ، وتعيد نفس الذنب بنفس الوزر مرةً أخرى

- ستكون هذه آخر لحظة لك خارج غرفتك ، منذ الآن وحتى آخر نفس تتنفسينه دون جابر ، لن تنالي الرضى مني ولن أسمح لك بأن تخرجي من هذا المنزل إلا لمنزل جابر وبعدها لن أستمر بالخوف عليك طالما أنت بين يديه . . .

- أبي ما الذي فعلته لأستحق هذا الموت المباغت؟ أنا لا أريد جابر ، ولكي تطمئن لا أريد سواه

- مثلك لا يتوجب عليها حتى النظر إلي ، يا سيئة الأخلاق ، كيف لك أن تقفي أمامي وتخبريني بهذا ، ابن عمك الذي أخرجني من أزمات مالية عدة يستحق أن يظفر

Telegram : iraqkt

بشيءٍ غالٍ ، من سمح لك أن تفكري بأن رجلاً يخالفنا الأصل والوطن بأن يكون هنا كيف لك أن تسترخصي كل شيء في عائلتي وتستبيحي حرمتها . . .

حرمتها يا أبي؟ حرمتها يا أخي؟ أي حرمة وأنتما اللذان أبحتما لي الحب فقط إن بادلته جابر ، أي حرمة وأنتما السيئان في الحب ، أسوأ من سوئي ، وأي عائلة يا أبي؟ عائلتك التي ركنتك للنسيان إلا بشرط أن أكون «جائزة» جابر . . . القبيلة التي كانت أعذب من أن تحرمنا الحب ، وأبسط من أن تمنع عنا ما أباحه الله ، كان ذنبي الوحيد أنني ما اخترت رجلاً آخر سواك يا سعود إلا وكان أقل مما تتوقع عائلتي ، أقل مما يرتضيه أبي وفق قوانين وضوابط دنيوية ، وكان الأجدر لي لو أن تركت الخيار لهم ، فأنا هكذا بين يديهم ، منذ مولدي وأنا معروفة الأقدار عندهم . . .

Telegram : iraqkt

١

كان جالساً كما عهدت بملامحه الحادة ، بأنفه الحاد ، وذقنه البارز ، ويده الباردة التي كانت تشابه مشاعري تجاهه ، ومن بين كل تلك الصفات التي ما أحببتها فيه ولم تجذبني ، ابتسم بدفء ، ليركض قلبي حافي القدمين عاري الذكريات ويرتمي بين يديه ، بائسة الحب أنا أرتضي من أي شخص ابتسامة . . . رحت إليه يا سعود لأنك لن تعود ، لن تعود إلا محملاً بكل الوجع ، وأنت يا هتان . . يا كاتبي ، يا أديبي ، يا شعباً سكنني كوطن لا يستحق السكون إليه ، تخيل أنني رحت إلى ابن عمي ، زوجي الذي خطّته لي الشروط والأسباب . . . تصور يا سعود أنني وفي هذه اللحظة فقط علمت كم أنني ساقطة القلب ، فارغة المشاعر ، كنت لرجل ، وصرت لآخر ، والآن أنا لسواهما أنت من جعلتني بهذا السوء ، أنت فقط ، اليوم والآن فقط سأعلن الوفاء ، وأقرر أن أنساك لأطوي آلاف الصفحات فلا أذكرك ولا أذكر هتان الذي لم يلزم الأمر أن يكون طرفاً في هذه الحكاية الساذجة ، اليوم سأبدأ من جديد ، وأقتلعك من قلبي كشجرة زرعتها دون قصد وحان وقت قطافها ، نعم أجتثك من داخلي حد النزف ، حتى مشاعري كانت في ظل قسوتي دامية يا سعود ، كانت والله

Telegram : iraqkt

دامـيـة . . . فكنت أنت هناك تبكي وأنا هنا أبكي ، ولا زلت أبكي بعـد آلاف القـصص . . . لكنني قـررت الوفـاء ، كـمـا علمـتني يا ابن القـبيلة ، همـست ذات يوم وأخـبرتني أن رجل القـبـيلة لا يخـون ، فـعلمـتني كلمـة جـديدة ضـمـمـتـهـا إلى قـاموسي ، علمـتني الخـيـانة ، فـأخـبرتك مـا تعني ، فقلت هل تعرفين الوفاء ، أجبتك بالنفي ، ضحكت وكأنك تتدارك لوعة الأيام التي مـا علمـتني حـتى الوفاء ، وقلت على مـضض منك «حين أمسك بيدك أمام الجميع ، أطبع قبلتي الأولى أمام مرآهم فيشع جبينك فرحاً ، هنا الوفاء ، هنا ضد مشاعر الوجع ، وحين لا تجدين مـا تبكينه قـهـراً في ظل الحب ، هنا يعني أن للوفـاء ضـد لا يمكن بين يدي أن تدركـيـه» صـدقت يا سـعـود ، فـأوفى بعـهـدك غـيـرك . . . أعلم أمـراً واحـداً الآن ، أنني أكـره نفـسي لأنني تركت هتان للعادات ، للوطن ، مثلما تركتني أنت . . .

Telegram : iraqkt

استيقظت ورائحة دهن العود لا تزال تشاغب أنفي ، أذكر جيداً أن مشايخ قد حممتني به إلى درجة أنه لا زال عالقاً بي رغم ليلة طويلة جداً ، هرعت لأتزين كما نصحتني أمي ، وأخذت بتوصياتها كلها فأتقنت السمع والطاعة ، كنت أمضي خلف أمي وكلماتها ، أجيد برّها إلى درجة أنني كنت جاريتها التي لا تعصي لها أمراً فأذنبت في حق نفسي ، لذا ها أنا أبرّها سراً ، ارتديت فستاناً طويلاً كنت قد اشتريته وخصصته لهذا اليوم ، فستاناً مشجراً كما اختارته أمي ، وكأنها ستقضي اليوم بدل أن أقضيه ، كل شيء تحت رعايتها ورعاية ذائقتها ، سرّحت شعري ووضعت بعضاً من أحمر الشفاه الباهت كما أحب ، ثم ذكرت ليلة الأمس ، تلك الاحتفالات والأعراس لا تثير سوى الوجع ، ولا ترسم في أفئدتنا سوى الخيبات ، هذه تقارن زواجها ، وأخرى تحلم بالأبيض مكانها ، هذا يرقب حبيبته ، وتلك تبحث عن المثالية لابنها ، وكان هذه الأعراس وجدت لتشعل قلوبنا بالألم وتحرقنا كما تحرق جيوبنا . . . تزينت بشيء قليل من المساحيق ، أعلم أن بشرتي متعبة من الأمس مثلي لكن من له أن لا يطيع توصيات أمي؟ اقتربت منه فهمست :

Telegram : iraqkt

- جابر ، حبيبي إنها الواحدة ظهراً استيقظ هيا

- صباح العسل يا جميلة

- مساء الخير حبيبي ، رتبتُ ثيابك في الحمام ليسهل عليك الأمر

كنت أظن أنه من الصعب على رجل أن يستيقظ ويبتسم ، كنت أظن أنه سيرمقني بنظرة ويطلبني مزيداً من الوقت كما كان يفعل أخي كلما أيقظته للمدرسة ، لكن يبدو أن الرجال يختلفون جداً حين يعشقون ، يتجردون من كل أطباعهم السيئة التي اعتاد أهليهم عليها ، ويخلقون رجلاً كاملاً مثالياً لأنثى يعشقها ، وكأن الرجال يتحررون من كل الأشياء البغيضة بهم ليرضوا غرور أنثى ملكت ضلعاً صغيراً فيهم . . .

- ثوري أحبك أن تثوري ، ثوري على شرق السبايا والتكايا والبخور ، ثوري على التاريخ وانتصري على الوهم الكبير ، لا ترهبي أحداً فإن الشمس مقبرة النسور ، ثوري على شرقٍ يراكِ وليمة فوق السرير . . .

- نزار العاشق ؟

- نعم لأنه اختصر الحب في أوطاننا العربية فقال :

«لماذا في مدينتنا؟

نعيش الحب تهريباً وتزويراً؟

ونسرق من شقوق الباب موعدنا

ونستعطي الرسائل

Telegram : iraqkt

١

والمشاويرا
لماذا في مدينتنا؟
يصيدون العواطف والعصافيرا
لماذا نحن قصديرا؟
وما يبقى من الإنسان
حين يصير قصديرا؟
لماذا نحن مزدوجون
إحساسا وتفكيرا؟
لماذا نحن أرضيون . .
تحتيون . . نخشى الشمس والنورا؟
لماذا أهل بلدتنا؟
يمزقهم تناقضهم
ففي ساعات يقظتهم
يسبون الضفائر والتنانيرا
وحين الليل يطويهم
يضمون التصاويرا
أسائل دائماً نفسي
لماذا لا يكون الحب في الدنيا؟
لكل الناس
كل الناس
مثل أشعة الفجر

Telegram : iraqkt

لماذا لا يكون الحب مثل الخبز والخمر؟
ومثل الماء في النهر
ومثل الغيم ، والأمطار ،
والأعشاب والزهر
أليس الحب للإنسان
عمراً داخل العمر؟
لماذا لا يكون الحب في بلدي؟
طبيعياً
كلُقيا الثغر بالثغر
ومنساباً
كما شعري على ظهري
لماذا لا يحب الناس في لين وفي يسر؟
كما الأسماك في البحر
كما الأقمار في أفلاكها تجري
لماذا لا يكون الحب في بلدي
ضرورياً
كديوان من الشعر . . .»

قالها بصوتٍ شجي ، بإلقاء مفعم بالحب ، قالها وهو يثق بنزار ، ذلك الذي كان الكثير يظن أنه بذيء الحب وكنت أحب أن أقرأ له رغم ذلك لأنني مؤمنة أن الرجال لا يكتبون من فراغ ، هو يحب واحدة فقط ، ولأنه لا يعرف كيف يخبرها

Telegram : iraqkt

بالحقيقة هو يتفنن في الحديث عن المجهولة ، تلك الحروف كفيلة لأن تسرق قلب عذراء لا تطرب إذنها إلا على كرامة أنوثتها ، نزار الذي أتقن المرأة فأبدع لها وبها ، كان يحوم حولنا بكتاباته ، وندور حوله بأحاسيسنا ، لنبدأ أول أيامنا معاً بيوميات امرأة قد حفظها جابر عن ظهر غيب وكأنه انتظرني عمراً كاملاً ليسعدني بها . . .

Telegram : iraqkt

إلى سعود :

أنت تشبه نزاراً في تعدد تجاربك مع النساء ، وتختلف عنه في كل ما يخالف ذلك لأنه أحب بلقيس حد الحزن الذي أسره أما أنت أحببتني حد الرحيل مستسلماً لسواي ، أنت رجل الشهوة ، ولا رجلاً لسواها ، كنت تريدني لرغبة وأريدك لحاجة ، كنت تريدني لشيء وأريدك لكل شيء بل للا شيء ، أتعلم يا سعود أنك حتى لا تشبه نزار ، نزار في نهاية الأمر أفنى عمره لأنثى واحدة دون كل النساء ، وأنت؟ أنت قضيت عمرك توهمني ثم انفردت ببنت العم ، أنت يا سعود لا تشبه أحداً ، كنت قد أدركت يا سعود أن الرجال مجموعة مشاعر متكتلة على هيئة قسوة ، تلين ما إن نغسلها بحب طاهر يغسل ذنوب الاتهامات ، وكان جابر رجلاً محملاً بالمشاعر ، ملتحفاً بالإحساس ، فاض به الحب فاحتواني ليكملني دونك ، فيخبرني أنني لا أحتاج إليك لأكتمل ، تصور يا سعود أن رينا د تركت رجلاً من خلفها كما تركتها والآن هي تشعر بالذنب لربما هو يكتب مثلما أكتب لك ، ولربما هو يتهمني ويتهم الوطن والعادات ، أو لربما قرر أن يتركني للزمن ، ففي نهاية الأمر الجزاء من جنس العمل . . .

Telegram : iraqkt

أنت يا سعود رجل اللامبادئ في زمنٍ عجّ به مدعي المبادئ ، أنت يا سعود ، رجل اللارجولة في زمنٍ كثر به الذكور ، وها أنا لا زلت أبرر فعلتك فأجعلك بطلاً لكل المواقف المشينة التي ما نبلت في نظر غيري . . .

Telegram : iraqkt

حملني على أكتاف الحب ، طار بي بين الغيوم التي افسحت لنا المجال فتفرقت من أجل أن نشق طريقنا فنقف فوقها ، نحمل معنا كل ما نريد ، كنت في خضم الحب أعيش ولا أعيش ، أملأ كأس سكري به ولا أسكر ، كنت في أوج حبي له أذكر ولا أذكر ، وكأنني فاقدة الروح ذاهبة العقل ، بل وكأني عارية الذكريات فقيدة الأحلام ، أنا في بدايات حبي له أميرة وفي نهاياتها ملكة ، أستيقظ على كلمات أحلام وأبات على صوت نزارٍ فيه ، بت أكتبه وأكتبه فقط ، وكأن سعود لم يكن وذكرياته ما كانت ، وكأنني الطفلة التي كبرت على ذكرى من ماضٍ لم يكن سواه فيه ، ها أنا في عامي الأول معه ، أعيش في جنة الأرض بين أحضانه رغم حرارة شمسٍ شرقيّةٍ أبغضها فيه ، لا أعشق ابتسامتي إن لم تكتمل بأنيابه التي يكشر عنها بكل سذاجة ، يعلم جيداً أنها تسحرني وأعلم جيداً أنه يعلم ، اقتربت منه ومددت له بيدي التي امتلأت بندوبٍ كثيرة أذكرها بعد أول شهر حبٍ لنا ليزداد الوجع ، حمل يدي بكفه الباردة ، وطبع قبلة تلاشت على أثرها قسوة هذه الليلة الشتوية ، بادلته نظرة حزن وكأني أستعطف قُبلته بالمزيد ، فسألني :

Telegram : iraqkt

- لا زالت توجعك يا حبيبتي . . .

- وكأنها لا تثير الوجع إلا بذكراها . . .

طبع قبلة عليها وكأنه يعتذر على كل ما كان وفات وسيكون ، وكأنه يعتذر على ما كان منه أو كان من سواه ، خلق الرجال ليجيب كل منهم سؤال الآخر ، ويغفر ذنباً ما كان إلا من سواه . . . وكطفلة قبّلت جرحها أمها تلاشى الجرح ، وذهب الوجع ، وبقيت أنا هنا أسأل نفسي عن الأمس واليوم وغداً . . .

كنت أرتدي فستاناً قصيراً كوجعي في عين غيري ، وقفت أمامه ، تبكيني الأرض من تحتي ، تسألني ألا أقف هنا كي لا تحمل من همي ذكرى ، هذه الجمادات التي تحيي بكوننا إحساساً فقدته إنسانيتنا ، اقترب مني وضمني إليه ، كنت أخاف من اقترابه لي ، أخاف من قلة حيلة المسافات التي أحياناً كانت ترضي غرور شرقيتي وتحيي رجولة شرقيته القاسية ، بين الأنثى القوية بنظر سعود التي تخلصت من حبه المغروس فيها ، وبين الضعيفة التي تنهار عند سطر نزار من شفتيه ، أيهما كنت وأيهما أكون . . .

Telegram : iraqkt

إلى سعود :

ضممت قلبي إلي ومنعته من أن يستنجدني بك ، ضرباتٌ عدة ، متفرقة ، متجمعة ، متكتله لكن لا يهم ، دمٌ قد تجمّع فأثار لوني بلونٍ جديد ، لكن لا يهم ، أنت من قررت أن تتركني لسواك ، وقررت أنت تتركني لسواى القبيلة ، أنت من اتهمت الوطن والعادات ، أنت من جعلت كل ذلك وحشاً كاسراً لا أرفض له طلب ، فاحمل ذنبي معك ، وأقسم بأن تحمله إلى يوم الدين . . . فها أنا لوحة يرسمها الجميع ، يضيف الكل لها لوناً يريده ، قليلة الحيلة أنا وأغلقت من بعدك أبواب رفضي . . .

أنا يا سعود ضحية كل الأشياء حتى التي ما أذنبت بحقي ، لكن ها أنا أرتضي حتى اللاشيء منه ، فأنا التي رغبت وأردت واحتجت ، قررت نسيانك وطيّ صفحاتك ، قررت عشقه وممارسة حياته ، قررت أن أنساك وأعيش على النسيان ، تخيل أنني قد أتقنت النسيان حتى صرت مغيبة ، لا أعرف شيئاً إلا وأنساه فنسيت . . . أنا يا سعود صرت لا أعرف كيف الخلاص من ذل الحب حين لا يكون حقيقياً أصلاً ، أنا التي امتلأت بذنبه وحان وقت قطافه مني . . .

Telegram : iraqkt

كنت قد استيقظت على رحيله كما دوماً ، يدير لرغباتي وحبي ظهره ويرحل ، أشعة الشمس تدغدغ ذكرى الأمس ، عقد الألماس مرمي على طاولة حملت أول كتابٍ لي وعدة دواوين كتبها قبل حبي وبعده ، كان بالأمس يقطف من وجعي أسطراً كثيرة ، ويحملني بين وجعه حائرة لمن كتب شطر أبياته تلك؟ وندبة أخرى تسألني ما كان ذنبي؟

جلست على ذلك الكرسي البعيد عن شرفات الهوى ، القريب من شرفة طلّت على حمام السباحة الداخلي ، واجتمع من حوله أبناء إخوته ، وأخواته اللاتي تزوجن في سنٍّ مبكرة جداً ، وكأن ثمن النعمة التي رزق بها البعض التخلص منها على عجل ، لمَ يخاف مجتمعي أن تكبر الفتاة وتتعدى الخامسة والعشرين دون زواج؟ لمَ يعتبرها عانساً إذا لم تتزوج قبل عامها الثلاثين؟ لمَ حتى تقلّ فرص الزواج كلما زاد بها العمر؟ ونحن الذين نطلب الجنة التي سنخلّد فيها بعمر الثلاثة وثلاثين؟ هذا عمر الفرح والقوة ، عمر الحب والنشاط والسعادة ، نحن الذين ندّعي الشرف في حين أننا لا نعرفه ، تحمل ابنتها بين يديها ، تطوف بها بين الحضور ، تجبرها على أن تقبل هذه وتلك ، لعل إحداهن تطلبها زوجة لابنها ، نحن الذين نجعل

Telegram : iraqkt

من أنفسنا سلعاً قابلة للنظر ، وقابلة للرفض والاسترداد بحكم العادات . . . أنا هناك أرقبهن بصمتي ، بحيرتي ، وبوجعي ، كم كنت أحسبني صغيرة ، كم كنت أظن أنني أخطأت في كل ماضٍ صنعته بيدي ، نظرت لندبة حملتها كفي الصغيرة ، سقطت دمعتي ، لا لم تسقط ، بل سكبتها رغماً عن عيني ، لتنساب كنهرٍ على جلدي الأبيض الندي ، وتنسكب بعدها رغبتي في أن أبكي بكاءً عميقاً بلا سكوت ، وبكيت ، بكيت بكل ما ملكت عيني من دمع بكيت ، كيف لجابر كسري ، جابر حبي ، جابر فرحي وحزني ، أن يصفعني في يومٍ ويطرحني وحبي أرضاً ، ثم يغزوني وجلدي ، فيغتصب كلَ الحب الذي حملته له يوماً وزرعته على تربة خصبة بالحب ، ولم يكتفِ ، لا لم يقف عند هذا ، فانتشل بيديه أعز ما تملك الأديبة ، فمنعني من أن أكتب ، حرق مشاعري بيديه ، ورمى بثاني إصدارٍ لي عرض الحائط ، ثم مزقني ومزقه ، وهو الذي كان يفخر بابتسامتي خلف منضدة التوقيعات ، هو الذي كان دوماً بجانبي وليس أمامي ، لم كل هذا وهو الذي سطر المشاعر والأحاسيس قبل النوم ، وأوهمني بالمثالية ، كان موجوعاً بفنه مثلي ، لكن بعد ذلك أعدّ نابه ليغرسه فيني فيبث سموم عاداته ومجتمعه المسكين فيني ، وفعلاً سمم رغباتي ، وأماتني ، وأَدَني وهو الذي يعتقد بفنه أن الفتاة لا توأد ، هو الذي من فرط رجولته قتلني ، ومن شدة شرقيته أحياني ثم

Telegram : iraqkt

أماتني ، جابر الذي أحبني حد الوجع ، كان الحب موجعاً ، وغيرته ساخنة حد الألم ، كان رجل العادات التي خفتها ورجل الوطن الذي هبته ، وأنا ابنة السمع والطاعة كي لا يعنفني أهلي حين أعود إليهم بمسمى لا يرضيني ، ورغم ذلك كنت أرضى على أول سطرٍ منه ، أول شطر ، وآخر قبلة ، كنت أرضى وأرضى وأرضى ، أرتضي الصفعة التي تتبعها قبلة بعد حين ، كنت أبكي ذلي في وجود الحب ، كنت أبكي خوفي في وجود العادات ، بكيت حتى ما بقيت دموع ممكن أن تستنزفها عيني ، بكيت وليت البكاء كافٍ لأن لا أبكي مجدداً . . .

Telegram : iraqkt

إلى سعود :

تصور أنني أهان بنفس الأسباب التي كنت تركنني إليها ، وكأنك وضعت الأسباب لتحملني ببرودتها آخذاً معك معطفاً كان سبباً في دفئي ، آخذاً معك قلبي الذي كان بين أضلاعٍ خلقت منك ، أنا يا سعود . . أنا التي آمنت بك ، وثقت بعاداتك وقبيلتك ووطنك ، أنا التي آمنت فهاجرت إليك ، تاركة خلفي أبواباً من الرغبات مفتوحة ، تاركة خلفي عتباتٍ من الحب أغلقت أبوابها في وجه رياح من غيرك ، أنا يا سعود أهان باسم كل الأشياء الجميلة الّتي كنت قد لوثتها بيديك . . . كنت أهان باسم الحب ، تخيل باسم الحب لأنك ما أخبرتني يوماً أن الحب والخيانة وجهان لعملة واحدة ، لأنك ما علمتني أن الحب والخيانة جزئين من روح واحدة ، لأنك ما أخبرتني في يومٍ ما أن الخيانة والحب ينبتان في زهرٍ حسن ويقطفانه . . .

Telegram : iraqkt

عاد وأنا لا أزال على ذلك الكرسي ، اقترب وطبع قبلته التي عهدتها بكل برود ، وضع معطفه وبادر كما كل يوم :

- سأغير ثيابي وآتي لغرفة الطعام فوراً فأنا جائعٌ جداً

- ثيابك جاهزة على المنضدة . . .

وهل اعتدت على سوى أن أكون المطيعة ليمتدحني أمام أهله ، فتفخر بي والدته وهي التي ترمقني بعين السخط؟ نسيت أمي أن تقول لي أن لا أحد يشبهها بل لا أحد يشبه أحداً . . . خرجت لأجهز له الطاولة ، فأكثر ما يكرهه هو أن تجهز له الخادمة شيئاً ، أو تضع يدها على جزئية من جزئيات حياته الخاصة ، للأمانة كنت أستمتع بذلك ، وأحب شعور الوحدة في قلبه ، فأنا الوحيدة هناك ولا مكان لغيري فيه ، لم أكن الآمرة الناهية لكنني كنت الموهومة بالوحدة على زاوية قلبه الذي اكتظ بالجميع حتى ما وجدت إلا زاوية انطويت فيها ظناً مني أنني هناك وحدي أمارس كل ما كنت أحب بكل أنانية ، بكل تعالٍ وبكل سخرية ما كنت كذلك . . . كأي دخيلة على بيتٍ عائلي كان ينتظر أحد الأقارب ليشغل الغرفة اللعينة المركونة في الأعلى ، لم أكن تلك القريبة بل كنت تلك الغريبة التي يفترض أن تكون واحدة منهم ، يفترض أن تكون

Telegram : iraqkt

نسخة منهم كما هو نسخة من والده ووالدي ، كنت الدخيلة فساتيني القصيرة ، بشعري المعجون بخصلاتٍ عسلية ، عيني الملونة بالعدسات اللاصقة ووجهي الذي يحملُ ملامح السعادة كذباً بفعلِ قليلٍ من المساحيق ، لم يكن مرغوباً بي أبداً ، ولم أكن أحاول في أنْ يسعني قلبهم فأناسبه . . .

كنت أنزل من الدرج بكل خفة ، ليبادرن بكيدهن :

- يبدو أن الأميرة قررت التنازل عن العرش

- نزلت من برجها العاجي الملكة ريناد

- بل إنها مجبرة ومجبرين على تحملها

وكلمات أخرى كثيرة جارحة تقتلني في كل مرة ينطقن بها ، لا أعلم ما سر الكره الذي يحملنه لي وأنا ابنة عمهم التي وجب عليهنّ أن يحببنها باسم القرابة ، والأكثر ظلماً أنهن يتغامزن ويضحكن بأصواتٍ متعالية ، نحن بشرٌ اعتدنا الظلم حتى بضحكاتنا . . . لكنني مارست أحد أنواع الاضطهاد بحق نفسي فتجرعت الوجع دون أن يشاركني به أحد . . .

- مساء الخير خالتي

وكأنني لم أحدثها ، بل وكأنني لم أتواجد أصلاً ، عام كامل مضى ولا تزال طاولة الطعام لا تسع كرسياً إضافياً لي ، وجابر لا يهاب الحديث مع عائلته عني لكنه يهاب ردة فعل مخيفة تقتلنا جميعاً لذا آثر الصمت وآثرني معه . . .

أذكر جيداً أول شهرٍ لنا ، زوجين في بداياتنا ، كطيور الحب

Telegram : iraqkt

كما توصف بدايات الأزواج ، لكن الحقيقة غير هذا ، الحقيقة أن الزواج مسؤولية مهلكة ، يشيب لها الشعر ، مفهوم الزواج الشرقي صعب المراس ، والأصعب أننا لا نفهمه فلا نتقنه ، أن نضحي لمن لا يفهم تضحيتنا ، أن نتزين لمن لا يلاحظ هذا ، أن نبتسم لمن يعبس في ملامح الفرح فيينا ، كل هذا محبطٌ إلى درجة يأس الحب ، وافتقاد اللذة بأننا خرجنا من طفولتنا التي ظننا أنها حبيسة بيتاً كان أفضل من قد يستوطننا ونستوطنه . . . كنت قد تركت براءتي وطفولتي على أعتاب الذكرى والتجربة المرة ، دخلت وحملتني إليه ظناً مني أنه سيتحمل مسؤوليتي ، لكن يبدو أن الرجال يأخذون وقتاً طويلاً في فهم عقولنا وفي نهاية المطاف لا يصلون إلا إلى الخيبات ، نحن نساء خلقن لإثارة الحيرة ، خلقن لصنع المكايد وتخطيها ، نحن نساء خلقنا لكل الأسباب التي تدفع بالرجل إلى الجنون ، والغريب في الأمر أن الرجل ساذج كفاية ليحمل على عاتقه جنون أربع نساء باسم الدين ، وهو الذي نسي توصيات الدين بالنساء والرفق بهن ، لو أننا لم نخلق لكل الأشياء الموجعة في هذا الكون ، لما ارتبطت بنا الخيانات فخان رجل أنثى بأنثى أخرى لم يتقنها أيضاً ، لو أننا لم نخلق للوجع ، لما وصى الله بالرفق بنا واستوصى بنا الرسول خيراً ، لأننا نتهشم بسهولة ، ننكسر ببرودة أعصاب ثم نعاود جبر كسورنا بكلمة ، كان واجباً على عاتقنا أن نتدارك هذا الجنون بجنونٍ آخر فلا تفهمون ولا نفهم نحن أيضاً ما نريد . . .

Telegram : iraqkt

يدخل في يوم لا يعرف الرحمة ، ينسى أجنداتي فيه ، يغفل عن حقيقةً هذا اليوم ، فتنهال قسوته ، ويداه اللتان تلمسان نداوتي دون عفوٍ ولا مغفرة على ذنبٍ لم أرتكبه ، أفتح عيني رغماً عن أهدابٍ كانت لا تريد أن تخضع لأحكام الخوف ، كنت أنظر لتلك القسوة التي سكنت مقلتي شاعر عندي ورسام عند سواي ، وكأن الشرر يتطاير دون سبب ، فتزيده حطباً تلك الكلمات التي انهالت من أفواههن ، أنا على الأرض ، بين الدموع والوجع ، بين تأوهات الذكرى والحنين والألم ، أنا على الأرض أسترجع كلماته التي رفعتني ويده التي لا زالت تسقطني ، تدفعني وكأنها تمرّغ الحب بهذا الثرى ، عند قدميه تتساقط دموعي ، تنغمس رغبتي في أن أصرخ لا طلباً للنجدة منهن ، لكن طلباً للنجدة من قلبه ، أود لو أن أستصرخ بيت شعرٍ كتبه لي ، أو سطراً من نزار قد قبلني عليه ، أود لو أن هذا الدمع يغفر لي ، أو أن تلك الدماء تستعطفه بي ، أود لو أن أي شيء يرجعه إنساناً لا يعرف طريقاً مني سوى إلي . . . بعد عناء ، بعد أن أخذ الرخامُ لوناً معتقاً من كرز شفتي ، أبعدته والدته وهي بين ابتسامة وخوف ، لا أعلم إن كان خوفها من أنه ضرني ، أم خوفها من أن ينساق لقلبه فيقبل

Telegram : iraqkt

كل طرفٍ قد تزيّن في عينها فترك وجعه فيني ما بين ندبة أو رضّة . . . أتعلم ما السبب يا سعود؟ أندرك إلى أي مدى كنت راضية حتى بوجعي ، إلى المدى الذي تخليت فيه عن حلمي ، عن رغبتي في أن أصل إلى أعلى درجات الأدب ، كنت قد رضيت إلى الحد الذي أفقدني رغبتي بالكتابة وحنيني لأن أكون امرأة لا ترضى بالهوان في ظل عملٍ كتبت العادات أنه خلق للرجل ، كنت يا سعود رضيت بكل هذا الخذلان فكيف لا أرضى بالهوان في حق كبرياء أنوثتي؟

- كُفّ يا جابر ستقتلها

- أقسم بمن رفع سبع سموات بلا عمدٍ ، إن أبصرت دفتراً واحداً أو كلمة في سطرٍ على الانترنت لك ، والله يا ريناد لتكون سبباً في أن أرمي بك وحبك بعرض الحائط وأحرمك كل الأشياء التي أحببتها في يوم ما . . .

نسي أنني حُرمت مسبقاً حتى من حبي له ، نسي أنني خسرت كل الأشياء التي ما كان من المفترض أن أخسرها يوماً ، خسرت باسم العادات ، باسم التقاليد ، وباسمه ، خسرت كل شيء كان مقدراً لي ، كان قد اشتد ساعدي بوجوده عليه ، الغريب أتدري ماذا؟ أنه علمني الرماية وحين اشتد ساعدي ما رميته ، بل هو من رماني ، يحدث أن يقتلنا من يعلمنا كيف نعيش . . .

Telegram : iraqkt

إلى سعود :

أتدري أنني من بعد هذا اليوم وأنا أمارس أسوأ رذيلة على وجه الأرض ، كنت أمارس الكره في حق نفسي ، كنت أتجرع كرهي لنفسي لأنني لم أجد شيئاً كافياً لأكرهك وسواك عليه ، لأن أهلي ما علموني أن أكره الوجع ، ما أخبروني كيف أكره من يوجعني ، كيف أطرح أرضاً من يدفعني ، لم يعلموني كل الأشياء التي وجب عليهم أن يعلموني إياها ، نعم يا سعود . . صرت فتاة الهوى ، لا أبحث إلا عن الليل لأمارس كرهي في حق نفسي ، أستلقي على الكرسي في تلك الغرفة ، أبدأ بعلبة شوكولاتة وأنتهي عند كيس بطاطس كبير ، أشرب من تلك المياه الغازية وبجنون ، صرت مدمنة كافيين ومنتشية شوكولا ، ازداد وزني كثيراً ، صرت ممتلئة القوام ، تخيل قوامي الذي كنت تتغزل به ويشدو به جراح ألف قصيدة ويرسمه جابر ليملأ اللوحات به ما عاد إلا كومة شحم و و عضلة لا تنبض بك . . .

Telegram : iraqkt

لأنني تنازلت عن طفولتي مبكراً ، وتركت براءتي على عتبة داره ، كنت أنتظر الليل فقط لأدخل عالمي الخاص ، أبدأ بتايتانِك ، ذهب مع الريح ، ثم لحن الحياة ، وفي نهاية الأمر أعمد للانترنت أقضي وقتي في مدونة سرية لا يعلم عني فيها أحد . . .

«قرأت ذات يوم في مصاب غيري ، فهانت مصيبتي ، هانت مصيبتي حين أدركت أن هناك أمور تحدث أشد وطأةً من إهمال المجتمع وتخيير القبيلة ، ترى ماذا سأحمل لكم اليوم ، ككل ليلة تنتظرون أن أكتب وجعي لتستمتعوا به من خلف شاشات الكومبيوتر ، أنا أذرف الدمع وأكتب على خوفٍ من أن تسبق اسمي ميم الطلاق التي يحتقرها الناس في مجتمعي ، وأنتم تحملون بأيديكم «ساندويشة» يتناثر بقايا ما حملت على نفس الأحرف التي سقيتها من وجعي ، لتعود مهملة كما كانت في مشاعري ، لا أحد يشعر بها ، لا أحد يعزّيها ، ولا أحد يحملها بين يديه ويلتهمها سراً . . . اليوم جئت أخبركم أنني أمارس رذيلة الأيام فأحب مرتين ، مرة بجسدي ومرات باسم القدر ، تماما كما تساءل غازي القصيبي في كتابه «رجلٌ جاء وذهب» أنا أتيت أجيب تساؤلاته فأخبره أن بامكان المرأة

Telegram : iraqkt

١

أن تحب مرتين ، مرة باسم جسدها ومرة باسم القدر وجئت أنا أحب مرات عدة باسم القدر ولكن في السر ، أنا التي صرت موسومة بالعار دون معرفة أحد ، أنا التي صرت كما يرغب الجميع ، أرضيت المجتمع كله ثم اندسست إلى سرير الدناءة ، فأرضيت عقلي ، جسدي ، وقلبي . . . لعلك تشمئز مني أيها القابع خلف جهاز الكمبيوتر تنظر لأحرفي على التياع ولوعة ، ما بالك لا تشمئز من كرشك المرمي أمامك من فرط إهمالك وتعلقك بهذا الوهم الذي أسطره لك فترثيه ثم تنساق للنوم وتنساه ، ما بالك لا تشمئز من حالك وأنت تبتسم في سيارتك الفارهة وحولك أطفال من فرط الفقر باعوا سعادتهم لأبنائك على هيئة دمى؟ ما بالك لا تشمئز من حياتك التي فقدت ضمير الإنسانية وامتلأت بالأنا؟ أنا هنا أفرّغ جام حزني ، أتخلص من كل أوجاعي قرأتَ لي أم لم تقرأ ، كل ما يهم ألا يعلم أحد من أكون ، أو كيف أكون ، أنا المرقعة بندوب الأمس واليوم ، المهملة على السرير ، المتجرعة للخيانات حين يندس ابن عمي ليلاً بالقرب مني وروائحهن في كل ليلة تخالط جسدي ، أنا التي أرضى كبائعة هوى منه في الغد حين يعتذر على خياناته بقبلة ، ويطلب الغفران على قبضاته بقبلة أيضاً ، أنا التي ما صار يعنيني إلا أن أمارس حياتي سراً . . . »

Telegram : iraqkt

إلى سعود :

أخبرك ما شعور الخيانة في ضوء اللا إحساس؟ لم يكن مريباً ، ولا مرعباً ، لم يكن موجعاً ، لربما لأنني ما عدت أحمل شيئاً ، حتى قلبي وكأنني انتزعته من بين أضلاعي وضعته على الرف البعيد مركوناً ومهملاً ، ثم مارست ما أبرع فيه . . . أتدري حين شاهدت تايتانك للمرة الأولى وأنا في السادسة والعشرين بعد أن اشتقت لأن أرى ، لأن أسمع أو حتى أشتم رائحة للحب في ظل كل ما أنا فيه من دونك ، حين شاهدته للمرة الأولى ما ظننت أنه يستحق كل هذا التخليد وما وجدت فيه نفسي مسلوبة الأنفاس ، لا أعلم أنحن في زمنٍ تافه صار الحب فيه مجرد قبلات ولمسات وبضع مقاطع إباحية على التلفاز؟ أم أنه مجرد لقطة تصويرية خيالية تسللت لخيالاتنا؟ كنت أرى فيك الحب الذي ما أدركه الكثير ، أكبر من تلك اللمسات والقبلات المصحوبة على أغنيات الليل ، كان حبي لك يشبه حب الطفل لوالديه ، غير مصحوب بقواعد ولا شروط ، أجل هذه هي الكلمة المطلوبة ، حب غير مشروط ، لا تحكمه رغبات ولا رهبات ، حب انتهى عند الوجع بدمعة لا قبلة . . .

Telegram : iraqkt

كان قد اندس بالقرب مني ، في يوم ميلادي الذي لا يحتفل فيه أحد ، عهدت دوماً حرمته ، وكبرت حتى بات للأطفال ، كبرت حتى صار أنفي معتاداً على رائحة الخيانة ، كان قد أدار لي ظهره بعد أن قال أحبك ، يحدث أن تصبح هذه الكلمة مبتذلة في مجتمعي ، ينطق بها فتتسرب أنفاسه التي شاطرت أخرى نفس الأحرف . . . سمعت صوت نفسه المتقطع وانتشلت جسدي من قربه ، ورحت أكتب في مدونتي السرية عن يوم ميلاد خياناته . . .

«ماذا أكتب لكم اليوم ، وأنا فتاة الميلاد التي لم أولد بعد ، ماذا أخبركم اليوم ، بمَ سأقضي ليلتي أكتب وتقضون أنتم تمرحون؟ هل أخبرتكم يوماً أنني لم أسافر قط ، لمْ أستمتع بأروقة المدن الأوروبية ، لم أشتم عطوراً فرنسية ، ولم أتحدث بالإنجليزية كي لا أقع في الخطأ وأحرج نفسي ، كنت أتحاشى كل الأشياء التي لا تناسب فتاة مثلي ، لا أعرف لمَ كانت كل الأشياء التي لا أعرفها لا أتعلمها أبداً ، لا أدري هل كان خطئي أنني ما تعلمت يوماً كيف أقف دون أنا يساعدني أحد ، أم خطئي كان في أنني ما تعلمت كيف أجلس ولا أقف بعد سقوطي؟

Telegram : iraqkt

لا يهم فتاة الميلاد اليوم اندس زوجها بالقرب منها محملاً بأنفاس أخرى ، وأخبرها بأنه يحبها ، الظريف في الأمر أنني استمتعت بالكلمة ، وحلّقت للحظة ثم ذكرني أنفي بالرائحة ، يبدو أنني ساذجة كفاية لأرضى برغباتي في ظل العاطفة وأنسى عقلي في ظل الحب ، أي حبٍ هذا المحكم بالرغبة؟ لم لا يحبنا الرجال من أجل لا شيء ، لم دائماً هناك ما لا يريده الرجل في أنثى وما يريده؟ أظن أنه من الصعب على رجل شرقي أن يحب أنثى لا تمتلك جسداً ، أو يعشق أخرى بلا وجه لكنها تمتلك قلباً مغلفاً بالأخلاق والدين ، لكن لا يهم إن أحب فاسقة طالما أن لها جسد . . . أنا فتاة الميلاد التي أحتفل الآن بكأس خيانته لي ، أسكر على نسيانه ، لمَ على الأنثى أن ترضى بخيانة زوجها دون أن يجلد؟ ويجب عليها أن تتجرع كل ألفاظه وقذفه فقط لأنّ هاتفَها رنّ برقم غريب؟ أظن أنني أتحدث باسم التجربة القاسية التي يعايشها البعض ، وعليهم فقط أن يعاشروا النسيان ويمارسوا رذيلته . . .

أنا ببساطة لا أريد منه هدايا ، ولا كلمة أحبك المحملة بنفس أخرى ، أنا لا أريد منه أن يذكر أجندات أنثى لا تنسى تواريخاً مهمة فيها ، كل ما أريده رجلٌ يستحق أن أتواجد بالقرب منه ، رجلٌ يستحقني ، كل ما أريده رجلٌ بما تحمله المشاعر لا الكلمة فقط ، ويحدث أن لا أجده بالقرب حتى . . .»

Telegram : iraqkt

تركت مدونتي ورحت إلى غرفتي مغيبة ، وكأنني لم أكن في يوم من الأيام أنا ، رحت أخرجت حقيبتي ، فتحت باب خزاناتيً ، ورحت أضع كل أشيائي التي كانت ملكي يوماً ما ، فقط ما كان ملكي ، رحت أضعها بلا هداية ، بلا ترتيب ، لا أريد سوى أن أخرج ولا أعود ، لكن إلى أين؟ أبي الذي سيعيدني إلى ابن عمي خوفاً من العار وخوفاً من دَينٍ قديم سيطالبه إياه ، أخواتي اللاتي سيحدثونني عن فضيحة ميم الطلاق ، أمي التي ستبكيني ، صديقاتي اللاتي لن يستقبلنني خوفاً من أهلهن ، إلى أين؟

Telegram : iraqkt

إلى سعود :

إليك يا سعود لو كنت هنا ، إليك ، وفقط إليك ، نعم يا أبي ، يا حبيبي ، يا كل الأشياء التي ما كنتَ عليها ، لو كنت هنا لجئتك محمّلة بي وبحبي ، لكن كيف ، وأنا الأنثى التي ما كنت لك ، وأنت الرجل الذي كنت لسواي . . . أتدري يومها أين ذهبت ، أجل خرجت تصور أن الأنثى التي تخاف ظلها ولم يعلمها أبوها كيف تقف دون الرجل سنداً ، خرجت معها كل أحلامها وذكرياتها التي مارست فيها كل أنواع الكره والحب ، خرجت وانطلقت بسيارتي المركونة منذ أشهر دون أن أسوقها ، حتى أنني نسيت كيف تكون الأنثى حين تسوق ، لأن أبي رفض أن أسوق سيارة ببابين فقط اشتريت سيارة بأربعة أبواب ، ثم جاء زوجي ، رفض أن أكون فتاة طبيعية تمارس حياتها وجعل السائق والياً على ذهابي وإيابي ، أو لعله كان عنصر تجسس فقط ، لا أعلم يا سعود لكنني خرجت ، أدرت مفتاح السيارة ورحلت ، كلما زاد ابتعادي عن منزلٍ سكنته كلما زادت رغبتي في أن أعود ، أخاف ، أجل أخاف وأنت من علمني الخوف ، أنت من علمني أن هناك شعور يدعى الخوف ، أنت الذي جرعتني الخوف على جرعات ،

Telegram : iraqkt

رحلت يا سعود ، وانطلقت إلى حيث يختبئ الجميع ، إلى حيث يذهب المتحابون ، المتخاصمون ، حيث يتواجد الغني والفقير ، رحت إلى البحر لربما أجد حلاً لربما أعود أو أشق طريقاً جديداً بلا عودة . . .

Telegram : iraqkt

١

جبت الطرقات وكأنني أجوبها لأول مرة ، وكأنني أرى هذه الأزقة وتلك الشوارع للمرة الأولى ، وكأن كل شيء ينظر إلي بعين الحزن ، نظرة شفقة ، نظرة عتب ، نظرات لا أعرف كيف أحللها ، لا أدري كيف أجيب عليها وأبادلها شيئاً يرضيها ، لم تكن كل الأشياء في وضعها الطبيعي ، لم يضحك القمر ، لم تتساقط النجوم ، لم ولم ولم ، لم تتمايل الأشجار ، ولا ابتسمت الوجوه ، لم يصرخ الأطفال ، ولم يتلاطم البحر في دجى الليل وعتمة الحب ، لم يحدث أي شيء ، لبَثَت الأشياء ، وسكنت دون حراك وكأنها تنتظر من دمعي أن يهطل ، من قلبي أن ينبض ، ومن عيني أن تتوه وتسأل كل الوجوه عنه ، بكيت دون دمع يذرف ، أقصى درجات الوجع ، أن نبكي دون دموع ، أن نصرخ دون صوت ، كنت أنزف جرحاً لا يطيب ، وجنتي تنتظر مطر العين أن يسري ، شفتي عطشى ، وأنا ، أنا يتيمة الحب كطيرٍ قصّ جناحاه كي لا يطير ، وقفت ، وقفت اسأل نفسي إلى أين الطريق ، أين أذهب ، فتاة وحيدة ، ياه يا أحاديث البشر ، ياه يا فرحة بعض الأعداء ، وياه يا قذف المحصنات الذي لا يلقى عتاباً ولا عقاباً ، إلى أين؟ إلى حضن أمي ، إلى جحيم المجتمع ، إلى صدر أبي ، وهاوية العادات ، إلى أين؟

Telegram : iraqkt

ثم تراءى لي منظر الشاليه ، وذكرت ذلك المكان الذي أصبح مهجوراً من بعد المزرعة التي صارت ملاذاً للأحلام وهروباً إلى الذكرى ، قررت أن أذهب ، اعتاد أبي أن يضع المفتاح داخل أصيص النبتة الموجود على طرف المدخل شاهقة الطول تلتف حولها الأغصان لتحفظها من سموم أحاديثنا وتمنعها من أن تتنصت على غيبتنا لبعض ، تمنع ما داخلها من أن ينفطر حزناً على حالنا . . . أتمنى أن المفتاح لا زال هناك ، من المحزن أن أقطع مسافات التعب والألم ، أنا التي أحسب الساعة في السيارة ثلاث ساعات لأنني أحترم قوانين المرور التي لا يحترمها غيري فيتوجب علي توخي الحذر في كل مترٍ أقطعه . . .

Telegram : iraqkt

إلى سعود :

هل تقضي ليلتك تحت لحاف الحب تمارس أحلام يقظتي بكل طقوسها مع أخرى لا تعرف عنها إلا اسماً ثلاثياً مرتبطاً بك؟ هل تنحني لتقبّل جبينها أم تقف هي على أطراف أصابعها لتقبّلك كما في الأفلام المصرية القديمة؟ هل تفتح لها ذراعيك بعد شجارٍ طويل وتحتضنها أم أنها تدفع بنفسها لصدرك كي تحملها ومدامعها كما في الأفلام الأجنبية؟ هل تمارس كل ما كنت أحب يوماً وأشاهده على التلفاز وأظن أنه كذبة؟ هل جعلتها تصدق خرافات تايتانك وأحلام روميو وأشعار قيس؟ وأنا التي ما ظننت يوماً بأنها تستهويني ، أخبرتني يوماً وكلك فخر «رجل القبيلة لا ينحني لشيء إلا للواحد الأحد» أسألك بالله هل انحنيت من أجلها ، هل قبّلت يدها ، هل تذرّعتَ لحبها وأنا التي أخبرتك يوماً «الحب اعتكاف وتذرع» فضحكت ، ألفُ «هل» يا سعود أريد أن أنطق بها وليت الإجابة غير مبهمة ، صار السطر محكماً عليّ ، على أن أجيب بدالك ، صار من الغباء ألا أجيب نفسي بالإثبات والإيجاب ، أجل يا سعود ، أجل ، أنت تفعل كل تلك الأشياء ، تعيش في قصة خرافية بالنسبة لي ، تصنع من رجال

Telegram : iraqkt

القبيلة أجمل مظاهر الرجولة معها ، تغمرها من حب البداوة ، بعد أن شوهتها في عيني كي أنساك ، وأحببتها في عينك كي لا ترحل . . .

Telegram : iraqkt

كنت متسمرة أمام البحر ، بيدي كيس بطاطس وعلى الطاولة علبة عصير مانجو ، لا أعلم ما اللذة في أن أقضي ليلتي التعيسة بالْتهام هذه الدهون المشبعة ، وكأن الحزن يتلاشى عند الطعام ، أو ربما هو حلمنا في أن يتلاشى ، أصب جام غضبي على حبات البطاطس المسكينة تلك ، أنهي العصير وأرتشف آخر رشفة طويلة ، ليزعج آذاني صوت العلبة المضغوطة بين كفّي ، تصلني رسالة وأنا التي خرجت منذ ساعات طويلة من المنزل ، وكأنه كان يعرف هروبي منه إليه ، وكأنه يعلم أن لاحيلة لي بالحب بعد الآن ، فكتب لي :

«عودي إلى حيث يكون موطنك ، عودي إلى حيث القبلات بلا مقابل ، عودي إلي وأعاهدك بألا أعود ذلك الفاسق في حبك . . .»

هو لا يعلم أن كل ما في الحياة لها مقابل ، حتى قبلاته كزوج ، يأخذ ما دونها مقابلاً لها ، هل أعود؟ أخاف من هذا الوطن بما فيه من عادات وتقاليد ، أنا التي كنت أقول أن الحب لا يعرف العادات ولا يعترف بالمجتمع ، أظن أن في وطني كان كذلك فأعتُبِر حراماً وعيباً . . .

فتحت مدونتي عن طريق الهاتف ، هذه الهواتف الذكية

Telegram : iraqkt

جعلت من الحياة سلسلة من السهولة التي أرهقتنا ، جعلت كل شيء مرئياً ومسموعاً حتى الوجع . . . وكانت قد وصلتني رسالة من مجهول ، كُتب فيها :

«أنا لا أعلم أي حرف تملكين ، ولا أي أبجدية تطوّعينها لك ، كل ما أعرفه أنك صاحبة ذلك القلب الموجوع تحت حكم العشيرة ، أنت الفتاة التي تبحث عن الخلاص حتى من نفسها ، يبدو أنني أراقبك كل ليلة ، لأصنع من وجعك لوحة لك ، أنا الفاسق ليلاً حين أمارس رذيلة البحث عنك بين شفتي أو عند يدي ، أعلم جيداً أن صاحبة الحرف تشبهني حزناً فأنا أعرف هذه الحروف وأعرفها . . .»

حدّقت جيداً بالرسالة ، كنت أتمنى لو أرفق اسمه معها ، من صاحب هذه الكلمات ، كان صادقاً ، فأنا التي أكتب عن حياتي هرباً منها ، أنا التي أتسلل ليلاً من سرير العادات ولتندس أناملي وتمارس غوايتها مع تلك المدونة التي يعرفها الكثير ، يقرأ وجعي فيها ، لكن لا يعلم عني فيها أو منها أحد . . . لكن لربما هو فعلاً يعلم . . .

أرسلت له بعد قراءتي لتلك الرسالة التي أخبرتني أنني بوجعي أمد غيري بكل القوة «لن أعود» وأغلقت هاتفي ، أغلقته وأنا الساذجة كفاية لأن أظن أن الحياة أسهل بكثير من أن أتسلل من نوافذها وأرقبها من بعيد . . .

Telegram : iraqkt

إلى سعود :

هل تعلم مقدار القوة التي كنت أجهلها فيني؟ لم أعد منذ أسبوع مضى ، وصلتني رسائل عدة من الأهل ، الأصدقاء والجميع ، لكنني لم أجب ، وتركت هاتفي على الرف البعيد كي لا أخضع لأحكام هواي ، كنت طوال الأسبوع أكتب في المدونة ليجيبني المجهول ويملأني من كلمات عبثِهِ فيني ، حتى هذا اليوم حين كتبت

«لأن الرحيل لا يقع خياراً لأنثى نقية ، قررت البقاء ، قررت البقاء بذكراي ، والرحيل بجسدي ، كنت أظن أن الهروب أصعب ما تواجهه امرأة مثلي ، مقطوعة المشاعر ، مركونة الأهل ، فقط لأنها خرجت من منزلها لتصبح تحت كنف زوجها البار بها جهلاً منهم ، لكنه أسهل بكثير مما ظننت يوماً ، فتلك الأبواب المفتوحة لا تمنعنا ، وتلك النوافذ لا تنادينا من بعيد ، كنت قد هربت منهم ، منه ، ومني كنت قد هربت من كل ما بقي فيني متعلقاً بهم ، كنت أريد التخلص مما كان عالقاً بيني وبينهم ، أريد أن أعيش لي ، لي فقط ، وها هي الفرص سنحت لي ، أعطتني من واهبها دقائق ، فرحلت ، رحلت وتركتني عنده ، رحلت بحلّتي الجديدة التي لا أعلم ما

Telegram : iraqkt

هي . . . لست بمزاج الكتابة اليوم ، ولا أظن أنني أستمتع بما أعترف به ، لكني أفضل أن أخبركم بوجعي على أن أنام وهو يسكن قلبي الممتلئ به . . .»

جاءني رده بعد دقائق قليلة يا سعود ، وهو الذي يعلم بأنني هاربة منهم لربما إليه ، تخيل مدى بذاءة قلبي الذي كتب وانتظر رسالة كانت بوابة هاويتي ، ومدخل الجحيم :

«سيدتي . . . أمثالك لا يرحلون ، أنت أنثى تبقى خالدة حتى بعد الهروب ، ثم ما قصة الوجع الذي يسكنك ، كان الأجدر أن تهربي من وجعك قبل كل شيء ، ما بالك أنت والوجع ، ما بالك لا تتخلصين منه ، اكتبي وكأنه يقرأ لك ، تخلصي من كل الوجع به ، أنا رجل أعرف وجع الإناث لأنني أوجعت إحداهن ، وأنا لست نادماً على ذلك فمثلها تستحق رجلاً أفضل مني ، يعيش معها فترة أطول . . .»

تركت الهاتف ووضعت قلبي على جنبٍ بالقرب منه ورحت في سباتٍ عميق وأغمضت عيني عن كل مشاعر الوجع والحزن والحب أجل يا سعود نمت قريرة العين دونهم ، هانئة البال دون كل الأشياء التي حالت بيننا . . . وظننت بالله خيراً أن غداً أفضل لا أجمل . . .

Telegram : iraqkt

أرسلت برسالة بعد أن تركني النوم ألعن فناجيل القهوة التي ما اعتدت عليها ، كتبت له :

«أجهل من تكون لكني أعرف جيداً ما تريد لذا لا تبذل مجهوداً في تصنع الجمال واختلاق الأدب وفرض الأخلاق ، مثلك ممن ترك خلفه فتاة تحبه لا يستحق من وقتي القليل حتى»

خلال ساعات طوال أجاب على تلك الرسالة :

«لم أطلب منك في بادئ الأمر أن ترسلي لي غصباً لذا لا تغصبيني على ما لا أطيق ، فأنا لا أجيد سوى الكذب ، وبالمناسبة أنا فقط من يستحق من وقتك . . .»

لمْ أرَ متحاذقاً يعترف بذنبه بهذه السرعة سواه ، لربما إحدى خططه في أن يوقعني بشرك هواه ، هو لا يعلم أنني الهاربة من الحب ، أنني الهاربة من كل الأشياء التي أوجعت قلبي باسم الحب ، لذا لن أعيد أخطاء الأمس ، هو لا يعلم أنني لن أحبه ، لن أخضع قلبي لرجال لا يعرفون سوى ذل المرأة وهوانها باسم أنهم يحبونها أو يغارون عليها ، لا أعلم كيف للرجل أن يطلب أربع نساء باسم الدين ثم ينعتهن بناقصات العقل والدين ، وبحكم هذا يدهس عليهن ويجعل المطبخ

Telegram : iraqkt

أفضل المهن التي لا يتقنون سواها ، لا أعلم هل صعب إدراك رغبة الرجل ، أم الصعب فهم حاجة المرأة؟

مرت الأيام وأنا كعهدي الذي أحببت ، أقضي يومي بين ذنبين ، ذنب التخمة وذنب الحديث مع المجهول ، كنت نسخة منه فاسقة أذنبت في حق كل عهود الحب ، الزواج والعادات ، خنت كل أمر جميل جعلني أنثى ، خنت ثقتي حتى بنفسي ، ، يبادلني فحش أبجديات الحب التي افتقدتها منذ زمن ، ولا أبادله شيئاً . . . نعم بات الحب فاحشاً تحت ظلال خياناتي ، لك يا سعود لا لأحدٍ سواك . . .

Telegram : iraqkt

إلى سعود :

أنا التي أحببتني وما عدت أنا ، أجلس على الأريكة المركونة أمام التلفاز على يميني منضدة بها كتب كثيرة أقتبس منها وعلى يساري شرفة تطل على بحر ما عاد أزرقاً من سوء نوايانا ، أنا الجالسة هنا أحدث المجهول ، أبادله بلا مشاعر كل ما بادلتني يوماً ، يعرفني حد التعجب ، وأجهله حد الجنون . . . أنا التي من فرط قسوتي خنت حتى ديني ، كيف لي يا سعود أن أكون بهذه البذاءة ، أنا التي كنت نقية كفاية لتحيرك القبيلة لابن عمك فترحل وأصمت ، كيف؟ كيف يا سعود ، وأنا التي ما تعلمت منك سوى أن الحب قسوة ، قسوة باسم القبيلة أو باسم الرجولة ، هل يحق لي تحت بند ما علمتنيه عن الحب أن أفعل فعلتي وأحمّل الحب عاراً يدميه ، هل يحق لي أن أكون فاسقة أكثر فأطلب الطلاق لأستمر بما أنا فيه ، أم أقطع الأمل بالكذب وأرحل ، أرحل تاركة وسخي هنا وذكرياتي هناك ، أرحل فقط وأعود إلى حيث لا أنتمي ، أعود إلى حيث الصلاح والذل . . . غريبٌ أن أجمع بين صلاح حالي بعفتي مع ذلي وهواني بالحب ، كيف لضدين أن يجتمعا على مضضٍ فيني؟ لا حاجة لأن تجيب ، فأنت الذي أجبتني يوماً وقلت :

Telegram : iraqkt

«الحب مشاعر متناقضة تملأنا ونملأها»

نعم متناقضة حد الوجع ، أنا يا سعود التي من فرط بذاءتي صرت أكتبك ببالغ الرحيل وكامل الحزن ، صرت أكتبك كأنني لا أكتبك ، خجلى من أفعالي المتكررة ، خجلى من أن تعرف أن ما أحببته فيني يوماً ما عاد هنا ، خائفة من أن تكتشف أن طهري صار بقعة وحل على حريرٍ أبيض ، أرخص من قدره وقدري . . .

أرسلت له رسالة وأناملي تتمايل ما بين الخوف واللذة ، الخوف من أن أقع في شيءٍ لم يكن من المفترض أن أقع فيه واللذة في كسر حواجز هذا المجتمع الذي أوجعني ، اللذة في التواصل مع شخص يعرفني وأجهله ، أعلم جيداً أنني أخطئ لكنني أجد في هذا الخطأ أمراً يهز مشاعري بلذة تسري بين أوصالي ، هي لذة لحظية ، كنت أعلم جيداً أنني ومنذ الصغر ، تنتابني أزمة ندم بعد كل خطأ أرتكبه عمداً ، لكن أين أنا من الندم؟ أنا بين اللذة الآن ، ترفعني لأنتشي كمدمنة وكمدمنة لابد وأن أدفع الثمن . . .

«للصمت ألف تفسير وللكلام تفسير واحد . . .»

كنت أتعمد أن أترك الأشياء مبهمة ، أريد منه رسائل طويلة ، أستغرق بها ليلي ، يلتهمها الوقت ، لكن حانت لحظة الجزاء . . . فتح الباب على مصراعيه ، دخل والدي ومن خلفه جابر وأخي ، أخي الذي وجب له أن يقف أمامي لأحتمي به

Telegram : iraqkt

لا أحتمي عنه ، انهالوا علي بالضرب ، كنت ألمح من خلفهم ظلاً ، لا أعرف من ، ولا أدري هل هو حقيقة أم سراب ، كل ما كنت أعرفه أني من تحت أرجلهم لن أعرف الرحمة ، كانوا يدهسونني ، أجل يدهسوني ، كحشرة يفركون باطن أحذيتهم بجسدي ، وأنا؟ أنا تكورت خوفاً منهم ، خوفاً علي ، وخوفاً عليهم ، كنت أتأوه ألماً من ضرباتٍ لحقت بي ما لحقت بها ، آخر ما أذكره ، نظرة رمقت أبي بها . . .

كنت أظن أنه مهما تنازلت الدنيا عني ، مهما انحطت بي الحياة ، لن يتمايل أبي فوق أوجاعي فرحاً ، لكنني أخطأت كثيراً ، كان أبي أول من قرر البحث عني ، أول من دفع الباب ، وأول من انهال علي فقتلني ، أبي الذي وجب أن يحملني بين يديه ما فعل ذلك ، كان قد وأدني تحت رجليه . . . كنت مسجاة على الأرض ، غارقة في دمائي أو غارقة دمائي بي لا يهم ، ما يهم الآن أن تعرف أنني كنت أنزف جرح شيء نما بداخلي ولم أعرف ، شيء حمل خطيئة فعلتي فمات عليها ، كنت في شهري الثاني ولا علم لي ، فتحت عيني وأنا بين زوايا غرفة المشفى ، وكان جابر جالساً على الكرسي ، رأسه بالقرب من يدي ، وكأنه طأطأ رأسه خجلاً أو حزناً أو قهراً ، لا يهم فحين فتحت عيني ابتسم وقبل يدي ، كنت مستغربة فعلته ، بعد كم الضرب المبرح ذلك ، لا أعلم هل هو يبتسم لأنه كان معي رجلاً ، أم يبتسم لأمرٍ خفي . . .

Telegram : iraqkt

إلى سعود :

تذكر يا سعود كم كنت أتفاخر بأبي وأخي ، كم كنت أحكي لك عن أيام حلوة مضت رغم قسوتها وجفوتها معي ، كل تلك الأيام كانت تغسل أرصفة الوجع التي انسقت عليها كبهيمة ، يحدث أن يعتبر المجتمع الفتاة بهيمة قابلة للتعذيب وخاضعة للذل حين تخطئ ، بينما يبقى الرجل جواداً يصهل بين الحين والآخر ، أصيل يهاب الجميع أن يفقد أصالته ، وأنا . . . أنا الفتاة التي يشبهنني الكثيرات ، أنا التي يشبهني الرجال في مجتمعي بالفرس حسناً ، طولاً وقواماً ، أنا التي يشعر بي الشعراء ، أنا الفرس التي قرر تملكها صاحبها ليدخل بها مسابقة أجمل خيل . . . أجل أنا التي مع أول غلطة لي نسي صاحبي حسني ، فقرر أن يركنني لحمل همومه بعيداً عن الجميع ، قرر أن يحبسني في قصره العاجي لا أطرد ولا أصهل . . .

تخيل يا سعود كنت أشتم للرصيف رائحة غريبة كلما لامسته ، وكأنه رائحة مسك كفني تنتظرني . . . لا أدري من أين تأتون بكل هذه القسوة حين تخطئ فتاة ، هل تستحق فتاة مثلي يا سعود أن تذوق كل هذه الجشع بالمشاعر؟ أنا يا سعود لا

Telegram : iraqkt

أعرف كيف لي أن أكون طاهرة ، نقية ، وجميلة في حبك ، بينما أنا بذيئة وفاسقة في حب سواك ، لعلي أستحق ما حدث لي ، ولكن هل تستحق مثلي أن تحرم أجمل شيء تحظى به الأنثى فقط لأنه رحلت وتركت من خلفها آلاف الجراح؟ لا أعلم لم كل هذا يقع على عاتق قلبي وجسدي ، عموماً يا سعود ما كنت أود إخبارك به في هذه اللحظة أنني وكسائر كل النساء ورغم جفوة الحب وقسوة زوجي إلا أنني كنت أتوق لأن أحمل طفلاً حتى لو لم يكن ملكاً لي ، وها أنا محرومة من ذلك . . .

Telegram : iraqkt

انسابت دمعتي فمسحها فوراً وقبل جبيني وهو يخبرني أن الأيام القادمة أجمل ، كانت الممرضة بملامحها العابسة تنظر إلي وهي تقــوم بدورها على أقل من الواجب ، طبطبت على كتفي وقالت بصوتٍ غليظ :

- هذا قضاء الله وأرفع درجات التقوى الصبر ، فاصبري وكوني بقدر هذا البلاء صابرة

لا أعلم ما تقصد ، نظر إلى جابر ، وسألته عما تقصد ، فتغيرت ملامحه ، وسكت ، كان للصمت وجع غريب هذه اللحظة

- جابر ما الأمر؟

- ريناد كنتِ في شهرك الثاني وفقدتِ الطفل

- وهل هذا أمر جديد؟ أنا اعتدت الحزن والخيبات

- هناك أمر آخر . . .

هنا بدت الأمور أوجع ما تكون ، هنا عرفت أن الخيبات لا تنتهي ، وكلما أصابتني خيبة لا بد وأن يكون هناك ما أعظم منها

- أخبرني ما بي؟

- حدثت بعض المضاعفات أثناء العملية وكان لا بد من استئصال الرحم

Telegram : iraqkt

سكت برهة وكأنني من فرط الصدمة فقدت قدرتي على الكلام ، بل وكأنني نسيت كيف يكون النطق ، كان في بالي آلاف الأسئلة ,وكثير منها كان يدور حول الأمومة ، الآن فقط عرفت أن جزاء سوئي بالحي فقدي لأجمل ما فيه ، كانت عيني بعينيه ، وكأنني ألومه وأعاتبه ، وكان نادماً بعينيه ، محكماً قبضته على يدي ، وبصرامة

– ريناد أنا أحبك للاشيء ، هذا الأمر لا يحدث أي تغيير ثم أنني استفسرت عن كثيرٍ من الأمور وكان الجواب مريحاً ، ستبقى علاقتنا كما هي ، وسيظل حبي لك في ذروته

فقط يا جابر كنت تعتقد أن الحب علاقة ، وأن الحب للاشيء يخضع للرغبة .كيف نسيت أهم أمر يعنيني ويعنيك ، كيف غفلت عن الطفل الذي لا يجمعنا ولا يوحدنا فقط ، بل يرفعنا ويسمو بنا وبرغباتنا ، كيف لك أن تجهل أنني لا أفكر بما ظننت أنني سأفكر به ، أنا فقط الآن أبحر في الأمومة دون مركب ، أنا فقط أغرق هناك وأنت لا تعلم ولن تعلم . . .

Telegram : iraqkt

«يخيل إلي أنني أم ، أحمل طفلي بين ذراعي ، أضعه بالقرب من ضلع كنت أخاف أن أفقده فيني ، أخبره كم أحبه فأقول له . . . أحبَّبتك حتى ظننت أن الله خلق كل هذا الحب في الكون لأحمله لك فقط . . . أحببتك وكأنني ما أحببت قبلاً ، يحدث أن يكون الحب مختلفاً حين ينبت فينا ولا يقتطفه أحد ، وهكذا أحببتك ، أبقيتك بين قلبي وعيني ، ثمارك الحلوة أتذوقها كلما أغمضت عيني ، وكأنني أشتاقك في غمضة عين . . . يبدو أن الحب أجمل من قصص أمي ما قبل النوم ، فها أنا أعيش البدايات ولا أنهيها إلا بألف نهاية سعيدة ، أحببتك أجل ، وكان الحب أكبر من أن أحمله وحدي ، فكنت ثمرة لقلبين ، لعلي لا أخبرك بقصص الأمس ، ولربما أنا أتعمد أن أسقط سهواً ما قبل وجودك لكنني على يقين من أنني لا أحب اليوم سواك . . . فأنا أحببتك حتى كتبتك دون خجل ، ورسمتك دون خوف ، أجل أحببتك حتى أفصحت عن اسمك أمام الملأ ، وأخبرت الجميع أنني أحبك ، وكتبت في أول حضورٍ أدبي لي بوجودك ، أحبه ، في مجتمعي هذا حين تنطق الفتاة بهذه الكلمة لا يمكن أن يبزغ فجرٌ جديدٌ لها ، لكنني لا أخاف ذلك ، فأنت الذي خرجت من أحشائي

Telegram : iraqkt

لا يمكن للفجر أن يمنعني عنك أو منك . . .»

كنت أقرأ الكلمات ، تتجول بين قلبي وعقلي ، كيف لفتاة تكتب بكل هذا العمق لابنٍ لن تحصل عليه ، كنت موهومة وليت الوهم حقيقة ، اشتقت لشيءٍ لا أعرفه ، اليوم أنا عاجزة ، عاجزة عن أن أكون فتاة كاملة ، كنت أظن أنني عاجزة في الحب ، لكن يبدو أنني عاجزة في كل ما دون ذلك . . .

Telegram : iraqkt

إلى سعود :

أتعلم أنني أسيرة حبك ، حتى في أوج المحن لا أفكر بسواك وكم كنت أتمنى لو أنني بين يديك لما فقدت طفلي ولا سُلبت أمومتي من حضني ، قد لحقت بي لعنة الحب كما قلت ذات مساء ، فسألتك طوال طريقك الطويل

- لم أنا؟

- أنا لم أخترْك أبداً ، لعنة الحب أصابتني وأصابتك

- تتهم الحب . . . تطلق عليه اسم لعنة ، هذا لا يليق بشيءٍ جميل جمعنا . . .

- يبدو أنك طفلتي الصغيرة التي ستتعلم الحب كأبجديات اللغة من جديد

- أنا لا أتعلمها من جديد ، أنا أتعلمها لأول مرة منك

- الحب لعنة يا فرحتي ، لعنة لن تتركنا ، ستطاردنا ، في صحونا ستلتهم ساعاتنا ، وفي منامنا ستقتلع من أعيننا النوم ، الحب لعنة تصيب الصالحين . . .

كيف لك أن تعلن لحبنا الصلاح ، وهو الذي بني على البطلان ، هو الذي بني على الكذب ، على العادات ، على القبيلة ، تذكر في ليلة رحيلك عن وطنك فيني ماذا أخبرتني . . .

Telegram : iraqkt

- سعود . . .

- هاه

- سعود أنت تعلم جيداً لم أناديك ، لم أصمت فترة وأنتظر منك جواباً ، أنت تعلم جيداً أنني أنتظرها منك ، يحدث أن أعشق هذه الثواني القليلة التي أتنفس بها صوتك

- لبيه

صمتي بعد تلبيته تلك لا أعرف له حدود ، أنا التي أصمت من فرط الفرحة ، من شدة سعادتي بصوتك وأنت تلبيني ، أصمت وأتلذذ باللحظة . . .

- ستعود؟

- مجنون من لا يعود إليك ، من لا يعود من أجلك ، أنت الوطن ، أنت الهوى ، أنت القبيلة . . .

- لكنك أخبرتني أن رجال القبيلة لا يعودون لأشياء تلوي أذرع القسوة فيهم

- ومن أخبرك أنك تلوين ذراع القسوة فيني؟

- إذاً ستقسو علي يوماً ما؟

- سأقسو فقط من أجلك ، كي أحافظ عليك

- سعود . . . هناك ألف طريقة لتجعلني أفعل ما تريد ، ورغم أن الحب لا يجبرنا على المثول لما لا نريد إلا أنني سأفعل كل ما تطلبه يوماً أو ترغب به ، لكن لابد وأن تكون ذكياً في حبي

Telegram : iraqkt

- شيئان لا يجتمعان ، الحب والذكاء ، نحن أغبياء بالحب لذلك نخسر رهانه دائماً . . .

واليوم يا سعود أخبرك أنك أخطأت ، الحب والذكاء روح واحدة ، ولأننا أذكياء جداً في الحب نحن نقع في ألف مصيبة ، تفاديناها حين افترضناها واقترحنا لها حل ، أخطأت يا سعود . . الشيئان اللذان لا يجتمعان أبداً هما الحب والخيانة ، وهذا ما لم تعلمنيه كما أخبرتك مسبقاً . . .

Telegram : iraqkt

بعد فقدي لطفلي ولأمومتي صرت مكسورة ، حتى جاء برسالته وأخبرني أمراً عرفت من خلاله من يكون . . . أخبرني برسالة طويلة ، أنني دون طفل ما أنا إلا أرملة الحب ، أرملة القبيلة ، بل وأرملة الرغبة فسقطت دمعتي وأرسلت له وأنا على يقينٍ مما كتبت :

«أحبك يا سعود فلم رحلت . . .»

فما أجابني وساد صمت طويل زاد قهري وزاد وجعي ، كنت أعرفه جيداً ، استغرقني الوقت لأعرف أنه هو ، لكني عرفت اليوم ، كلما حدثني اتهم القبيلة ، واتهم ذاته ، هناك ما أجهله وهناك ما أعرفه ، لكنني أعرف جيداً أنه حتى في غيابه كان هنا . . .

«من أجلك فقط يا ريناد ، أنت تستحقين حياة أفضل ورجل أفضل»

كنت أعلم أنه لا أفضلية مع سواه ، ولا حياة أفضل دونه ، ولكن هل يعلم هو ذلك؟ حملت هاتفي وأنا لا أحفظ سوى رقمه ، لا أعلم لم ، رغم صعوبته واختلاف الأرقام إلا أنني أحفظه عن ظهر قلب

- سعود ، عد أرجوك ، وأخبرني لم تركتني لسواك ، أتخبط

Telegram : iraqkt

في هذه الحياة بين يدي المجتمع ، العادات والناس . . .

- ريناد

وكان بصمته يقتلني ، يخيفني ، يميتني ويحيني بتنهيدة ، كنت أود لو أن ألبيه مثلما يفعل ، ولكن لا حق لي بأن أفعل ، آه من مجتمع يرقص على موت قلوبنا . . .

- أخبرني لم فعلت ذلك؟

- وإن أخبرتك هل تقضين حياتك مع سواي ، هل تعيشين من أجل نفسك ، وهل ترضين بالقضاء والقدر

- أجل أعدك أن أفعل إن كان ذلك مقنعاً وكافياً لي . . .

Telegram : iraqkt

إلى سعود :

ليتني لم أعرفك ، ليتني لم أحبك ، ليتني لم أكن . . . فوجعك إلى هذا اليوم باقٍ ، يؤلمني حد الاستيقاظ ليلاً على صرخات الشوق ، يؤلمني حد الصراخ من فرط الحنين ، ليتني حين أحببتك يوماً غادرتك قبل أن تغادرني . . .

Telegram : iraqkt

كنت أرقبه بعين المتهم ، وكان ينظر إلي بعين الضحية ، وكلانا ضحايا للحب ، أو أنا فقط ، لست أدري ، أشعر بأنني قد فقدت قدرتي على فهم الأشياء من حولي ، كنت بصمتي أشعل فتيل رغبته بأن يقتلني بين يديه ، وكان بصمته يريحني ، فلا حاجة للحديث الآن ولا حاجة للكلام . . .

- تعلمين أن اليوم سأرتبط بأخرى ، فقط من أجل طفل يسكن عيني وقلبي ، طفل أحمله بيدي فأبتسم رغماً عني ، طفلي ، طفلك ، وطفلنا . . .

- أعلم جيداً أنك ستكون لسواي ، وستحمل يوماً طفلك ، طفلها ، وطفلكما ، أنا لا مجال لأن أدخل وأحشر ياء الملكية بينكما ، أي أنانية نعيشها اليوم ، حين سلبتني الأمومة ، قررت أن تكون أباً رغم ذلك ، سترتدي ثوب العفة الآن وتخبرني أنك ستتزوج من أجل طفل يسعدني وإياك؟ وما بالي لا أحمل طفلك ليسعد كلانا؟

صمتٌ ساد بيننا ، كان صريحاً وشرقياً بفكرته تلك التي اختارها الكثير ، وسرعان ما تبددت وظهرت أنياب الحقيقة ، لكن لا يهم ، أنا لا أحمل له مشاعر الحب التي تجعلني رهينته ، فلذلك تحررت منه ، ومن وجوده ، من قربه ، ومن

Telegram : iraqkt

حبه ، تحررت منه وكنت ولا زلت بقلبي ملكاً لسواي أصلاً . . .

- آسف

- وما فائدة الاعتذار حين يتم إصلاح الخطأ بالخطأ؟

- أحياناً لنصل للصواب علينا أن نقع بالخطأ . . .

أقفلت المحادثة وتركته من خلفي يرتدي فحش الكذب ، ويتزين من أجل أخرى ، وأنا لا أبالي ، لا أبالي فقط لأنني سأعود لأهلي ذات يوم تسبقني ميم الطلاق ، سأعود ، هذا الشيء الذي ما حدث لي يوماً ، فحين يرحل الناس ، لا يعودون ، أما أنا سأعود لعله يعود . . .

Telegram : iraqkt

إلى سعود :

كيف لرجلٍ بهذا المحيا الذي يمتلئ نوراً أن يتوغل وحل الخيانات التي اندست فيها تفاصيلي من أجل رجلٍ بذيء الحب ، لا . . لا بل من أجل أنثى بذيئة الحب ، حين تركتني ما حاولت استردادك ، وحين كررت فعلتك مع سواك ما حاولت أن أتراجع ، وفي نهاية الأمر ها أنا مع رجل بجسدي وقلبي معلق مع سواه . . . أنا يا سعود التي أحببتها لأنها فتاة لا تعرف المحال ، صرت أمارس أسوأ أنواع الخيانات ، إنها الخيانة في حق قلبي ، فأدهسك وأدهس حبي لك ، ثم أعود لفسقي من جديد ، أجل يا سعود كنت أهرب منك ، كنت أحاول أن أجعلك تتوجع بخياناتي ، وكل ما بدا لي أنني أوجع نفسي ، أنني أحمل العار على عاتق أحلامي ، أجل يا سعود ، كان جابر ، جراح ، أسماء رجال تعلقت بي وما تعلقت بها ، أنا التي كنت أكتب بمدونتي عن الحب والوجع ما صرت أكتب خجلاً منهما بعد أفعالي . . .

Telegram : iraqkt

ذات يوم ، كنت أجلس في مقهى يكتظ بالوجوه العابرة ، فتحت عيني لنوافذ الحياة ، رحت أرمق تلك وأشاهد ذاك ، كنت أعبر بوجوههم قارات المشاعر ، فتسنت لي اللحظات بأن أذكر الكثير ، ذكرت حتى انسابت مشاعري مع قطرات لم أدرك أنها سقطت من عيني ، فمنذ وقتٍ طويل لم أبكي ، تحجرت مشاعري عند آخر رمق للحب بين سعود وهتان وجابر الذي اغتصب أمومتي ، كنت أبكي ما آلت إليه حالتي ، كنت أبكي دناءة ما وصلت به مشاعري ، كيف لي أن أرتضي بذيء الكلام فقط لأشفي غليل رغبة ما كانت بداخلي ، كيف لي أن أموت في أسفل الدركات ، كنت أظن أنني أشعل الألم في قلب سعود ، وأقتل بالندم جابر ، لكن كل ما كان أنني أقتل نفسي وأحرق كل أنوثتي بسوء أفعالي كلما ذكرت أنني سيئة ، حتى أنني تركت من خلفي رجل قد أحبني بصدق . . .

جلس على الكرسي المقابل لي ، وضع قهوته أمامه ، أنزل نظارته الشمسية قليلاً ورمقني بنظرة تسعيرية وكأنه يحدد سعراً لي ولأنوثتي ثم رفع يديه ووضعها بين شفتيه ، وراح يقتلها قبل أن يدهسها . . .

- لم هذه النظرات؟

Telegram : iraqkt

- هل سبق وأخبرك أحد أنك لذيذة كقهوة فرنسية حلوة على بدايات ريق رجل استيقظ وحيداً؟

- وهل أخبرك أحد ألا تسعّر فتاة كي لا تندم؟

- أنت بلا سعر يا ريناد ، أنت فتاة لا تحتمل التسعير ، أنت فتاة لا يحق لبذيءٍ مثلي أن يقترب منها

- أنا لم أطلب الالتقاء بك يا مبارك كي يطول الحديث ، كل ما في الأمر أنني أعلم جيداً نوع العلاقة التي تربطك بسعود ، وكل ما أريده الآن هو أن أعرف لم فعل بي هذا ، لم حين وصلت إليه من جديد ووصلت لطرف الحقيقة هرب وتركني من جديد؟

- أنت التي رهنكِ الحب ، وضعك على طاولة الضياع ، لكن لا تزالين تلك النقية التي لا تجيد إلا حبه ، وأعترف لك يا ريناد ، لم أعرف فتاة تعشق رجلاً قد رحل مثلك ، أنت التي تجيد الوجع حتى في غيابه ، لأول مرة شاهدتك فيها من خلفه في المطار كنت أتساءل ما الذي يجعل فتاة مثلك تتعلق برجل راحل مثله . . .

رجل راحل هذا ما كنت عليه يا سعود . . .

Telegram : iraqkt

إلى سعود وإلى هتان :

أعتذر لسوء أفعالي ، أعتذر لأنني أتقنت حب الأول حتى ما عدت أعرف كيف أتقنه أكثر فأفسدت الأمر بيدي وجعلت الثاني يتقن حبي ورحلت . . . أنا التي من فرط حبي خرج الأمر من بين قلبي لذا أعتذر لكما عن حبي . . .

Telegram : iraqkt

- اغفري لي يا ريناد ، أطلبك الغفران ، «حللييني»

قالها بكل انكسار ، كان ينظر إلي وكأنها آخر مرة يراني فيها ، قالها على خجل ، على خوف ، وعلى حب ، ولأول مرة أدرك أن رجلاً مثله غادرني مراراً يعرف آداب الرحيل

- ما الأمر يا سعود؟ أنسيت أنك هنا لتخبرني عن حقيقة الرحيل ، لن أرضى برحيلك مجدداً مبهماً تاركاً خلفك آلاف الأسئلة فيني . . .

إلى كل الرجال في حياتي ، إلى أبي :

هل يكفي إن أخبرتك أني غير صالحة يا أبي ، أنا غير صالحة حتى لدعواتك الصادقة لي ، أنا يا أبي التي استحقيت كل ضربة كنت تتألم بها قبل أن أتألم أنا . . .

ذات يوم يا أبي ، كنت أجلس على طرف درج المدرسة ، بجانبي صديقتي التي فقدت أباها للتو ، كنت قد نسيت فأخبرتها أنني حزينة على حالي ، وأنني لست راضية على هدية ميلادي التي أهدانيها أبي ، فبكت ، هي لم تبكِ ، هي أجهشت بالبكاء ، حتى ظننت أنني قتلتها بكلماتي ، بكت

Telegram : iraqkt

وهي تخبرني كم تشتاق لأبيها ، وكم تتمنى لو أن يعود فتقبل منه حتى الذل ، تتمنى لو يعود وترضى منه كل ما لم ترضاه ، بكت وأنا الجالسة هنا أتذمر من أبي وهي تشتاق لأبيها ، نحن بشر لا نشعر بهوان غيرنا ، ولا بضعفهم وقلة حيلتهم حتى نجرحهم فيبكوننا ، كنت أتذمر من أعظم النعم ، وكانت تبكي فقدها ، والآن الآن يا أبي أنا أشتاقك لأنني لا أعرفني ، لأنني ابتعدت جداً عنك وعن نفسي ومسبقاً عن ديني ، نعم يا أبي ، أنا أشتاق إليك حد الوجع ، فأنا القريبة منك بعيدة جداً عنك ، فهل يكفي إن اعترفت لك بأنني غير صالحة كفاية لأكون ابنتك ، فأنت تستحق أفضل ما لم أقدمه لك ، أنت لا تستحق كل ما توغلت به من سوء ، أنا يا أبي التي أجلس كل ليلة على سريري أذكر ما فعلت فأبكي لأنني خذلتك دون قصد ، خذلتك وخيّبت أملك بأفعالي ، لم أكن أقصد أن أحب رجلاً أوهمني أنه لا تقبل بي القبيلة ، ولم أقصد أن أجرح رجلاً آخر كان سيتحدى الوطن ، ولم أقصد أيضاً أن أعود من رجل أحمل معي منه خيبتي وفقدي ، أنا يا أبي لم أختر ذلك لي ، أنا التي اختير لي ولم أختر . . . يا أبي لك كل الحب الذي ما استطعت أن أقدمه لك ، فأنا الجيدة كفاية لأن أكون طفلتك لست صالحة لأن أكون ابنتك . . .

Telegram : iraqkt

- جابر تزوج . . .

هذا ما أخبرتني به أمي وكأنها آسفةٌ على حالي ، الغريب أنني لم أشعر بالأسى على حالي ، ولا بالحزن على وضعي ، ولا بالغيرة مما هما فيه ، أنا فقط أشفق على ما أنا به . . . كنت قد فقدت حباً وقتلت آخر وكان هو دوماً لا يعني لي شيئاً ، كنت المقاة جسداً في طريقه ، معلقة على أبواب غيره . . .

- أتمنى أن يكون حظها أفضل من حظي العاثر

- لمْ تسأليني مَن؟

- وما الأمر المهم في أن أعرف من؟

- مشايخ يا ريناد . . .

وقفت بدهشتي يكاد أن يغمى علي ، حدقت بها بعيني الحزينة ،

- مشايخ؟

- أجل مشايخ التي أمنت سرها وما كانت تستحق أن تضعي آلاف الأسرار عندها ، مشايخ التي لطالما تمنت أن تكون مكانك ، أن تحظى بالحب ، بالزوج ، وبالحياة مع رجل يكون لها سنداً ، مشايخ يا ريناد التي جعلنا لها كرسياً على طاولة الطعام خانتك ، خانت الأمانة والثقة ، وقبل كل ذلك خانت نفسها

Telegram : iraqkt

وقررت أن تعيش كذبة وتبني حياةً لها على أطلال حياة أخرى يحملها بداخله جابر ، جابر الرجل الذي أحبك لكنه ما عرف كيف يحتفظ بك

- لا يعقل أن تكون مشايخ بهذا السوء ، بهذه الدناءة وبكل هذا الحقد ، كيف لمن سمحت لها بأن تتشعب في قلبي حباً ان تفعل هذا ، كيف لمن اعتبرتها أختاً أن تطعنني وترحل . . .

هذه الحياة لا يحق لنا أن نأمن فيها أحد ، في هذا الزمن صارت كل الأشياء الخيالية واقعية ، وكل السوء الغير متوقع أمرٌ اعتيادي . . .

جاء صوته الحبيب كسحابة مطر أشبعتني من سقياها . . .

- ريناد هذا آخر لقاء لنا

- سعود . . .

وأجهشت بالبكاء ، حتى فاض الدمع من عيني والوجع من قلبي ، فاضت كل المشاعر فيني ، يحدث أن أشتاق إليه حتى في وجوده وحين أفعل ذلك أنا أفقد كل مشاعر الكون إلا البكاء ، تخذلني كل الأشياء من حولي حتى عيني تأبى ألا تذرف دمعات الشوق له . . .

- لأنني أحبكِ حد إتيان العهود حتى في غيابك ، أنا لم أتزوج من غيرك ، كيف لرجل مثلي وجد فرحته فيك أن يرتبط

Telegram : iraqkt

بسـواك ، أنا رجل القـبـيلة يا ريناد لا أعـرف كـيف أحب سواك . . .

- وابنة عمك ، زواجك ، غيابك؟

- لم يكن لي عم منذ بادئ الأمـر ، لو كنت عـاقلة في حـبي لما أخـذك الوقت في الغـيـاب ولم تدركِ الأمـر حـتى الآن . . .

- لأنني مـجنونة في حـبك ، مـا اسـتطعت العـيش مع سواك . . .

- ولأنني ابن القبيلة التي ستفرح وتفتح يديها لك ما استطعت إلا الموت دون . . .

- لم منعتني من أن أكون جزء منها طالما أنها ستفرح ، لم منعت أحضانها عني حين احتجت إليها ، لم أوهمتني بأن القبيلة سيئة كفاية لأن لا تقبل بمثلي ، لم اتّهَمْتَهَا واتّهَمْتَنِي واتهَمْتَ نفسك؟

- أنا المعتكف في حبك ، لا أحيد عن طريقك ، ولكن يا فرحتي التي انتقصت ، بالله أخبريني كيف السبيل لأن نقف في وجه القدر ، الموت محتم والأمر مكتوب ، وعلينا كبشر أن نرضى . . .

Telegram : iraqkt

ا

إلى سعود :

لأنك رجل القبيلة عرفت أنك لا تشبه الرجال ، يبدو أنني جعلت منك رجلاً قاسياً باسم المجتمع الذي رسمك بهذه الصورة ، لكن . . . لكن أنت لا تشبه الرجال ، أنت المعدن الذي تنقّب عنه الفتاة عمراً ، تبحث عنه بين خزائن القلب ، ويحدث أن أجدك وأبعثرك من بين يدي ، لأنني الفتاة التي لا يجب عليها أن تتواجد بين يدي رجل أحبته وأحبها فقط لسبب منسي ، لأمر لم نضعه على أعتاب الخيال ، ولأنك ابن المجتمع الذي كان عنصرياً كفاية ليجعل من القهوة البنية سوداء ، ومن السماء الصافية الزرقاء بيضاء ، لأنك ابن المجتمع الذي مارس الاضطهاد في حق أبنائه بفرضه فروض عجزنا على التفوق عليها ، وكأن الحب والعادات في هذا المجتمع بينهما ثأرٌ قديم ، وكأن الأصل والقبيلة كافية لأن ندفن مَن هم دونها تحت أحذيتنا المصنعة في إيطاليا ، أجل أنت الرجل الذي كان دافئاً كفاية ، كان عذب الصفات ، فما وجد المجتمع إلا أن يقتله وجعاً ، فكيف لرجل القبيلة أن يكون رجلاً ليّناً لمن يحب ، زاهداً في حب سواها ، رجال القبيلة عند الحب لا يعرفون القسوة ولكن ما صوّر مجتمعي إلا صوراً لرجل يقف

Telegram : iraqkt

قرب بيت الشعر يحمل بندقيته ، ومن خلفه أنثى جميلة ترقب الأفق البعيد بعين الخوف من الغد ، لماذا يا سعود ما صوّر مجتمعي الحقيقة التي بدا فيها رجل القبيلة شامخاً ممسكاً بيدي أنثاه التي ترقبه بعين الحب؟ لماذا جعل وطني من الحب عبارة لا تستحق أن نكسر حواجز العادات حين تقف بين أسطرٍ حملتها ، لمَ لا يحق لنا أن نمسح كلمة أصل من قواميس صمت الحب التي بادرنا بها فقتلتنا؟ ورغم كل تلك الأسئلة يا سعود عرفت أن الأجوبة التي ستأتي منك تداويني ، وأن كل هذا ليس سوى عقبات في وجه غيري من الفتيات ، لأنك لن تسمح بكل ذلك ، لكنني ما أدركت إلا متأخراً جداً ، وكما أخبرتني يوماً أن نعلم متأخراً خيراً من أن نموت دون أن نعلم . . .

Telegram : iraqkt

كان بكائي يقطع أنفاس الصمت التي بيننا ، ليتني ما أحببته إلا وأنا أعرف كيف أحبه بوجود المجتمع ، ليتني حين أحببته عرفت أن المسافات جزء من قلوبنا ، كلما طالت كلما وجب عليّ التمسك بحبه أكثر ، كان لصوته شجنه الخاص ، ولأنفاسه لحنها الحزين الذي تتراقص عليه دمعاتي

- تبكي يا سعود؟

- ألا يحق لرجل القبيلة أن يبكي؟

- بلى لأن رجال القبيلة وحدهم من يعرفون أن الوجع وكل الوجع يكمن في قلوبهم المرهفة التي عجزوا أن يمارسوا فيها قسوة المجتمع ، لأن رجال القبيلة أمثالك لين القلب بحضور الحب وغيابه . . .

- ليتني فكرت في حبك ، ليتني لم أتعجل في جنوني بك ، أنا يا رائحة الجنة لا أعرف كيف أمضي دونك ، مرت الأشهر وكأنها أشهر وجعي ، وكلما ذكرت تاريخاً امتلأت به أجندات ذكرانا ، أستنزف المشاعر كلها وأختصرها بشوقي الموجع ، أنا لا أعرف ليلاً كيف ينام البشر ، أمسك ببطني وأتأوه ألماً من فرط شوقي لك . . .

- وأنا ، أنا يا سعود التي كتبتك في كل كتابٍ لي ،

Telegram : iraqkt

كتبتك في بداياتي ونهاياتي ، حتى آخر كلماتي التي مزّقها غيرك ، كانت لك ، تحمل من أحرفك كل الأبجديات ، أنا يا سعود التي أخاف أن أخطئ باسمك فيدفنني أبي خجلاً من العار الذي لم أحمله لهم ، أنا يا سعود التي هربت من نفسي إليك وما وجدتك . . .

- ما وجدتيني لأنني ممنوعٌ من الاقتراب منك ، أنت مثل القطعة الثمينة الموجودة وسط متحف قلبي ، لا يسعني الاقتراب منها خوفاً من أن أكسرها وجعاً . . .

- أنا مكسورة بك يا سعود ، مكسورة بغيابك ، مكسورة برحيلك ، مكسورة بشوقي لك ، أنا مكسورة بكل الأشياء المتعلقة بك . . .

- الأنثى المكسورة لا يجبر حطامها إلا رجل أحبته بكامل عقلها وجنونها . . .

- الأنثى المكسورة يا سعود لا تعود لسابق عهدها حتى برجلٍ أحبته بكامل إرادة عقلها وخارج إرادة قلبها . . . الأنثى المكسورة لا تحتاج لأن يجبر كسرها أحدٌ إلا الله ، لأنها دائماً تعود له في حزنها ، في يأسها ، وفي فقدها لمن تحب ، فلا يجبر الكسر إلا خالق الكسر لكن يمكن أن يداوي كسرها ويجبر خاطرها المكسور ذلك الرجل الذي أقسمت عهداً طويلاً أن لا تحب سواه . . .

Telegram : iraqkt

إلى سعود :

إلى الآن يا سعود لا أعلم لم أحمل ذنباً ما ارتكبتُه وأنت تحمل ما لم ترتكب أيضاً ، تذكر في ليلةٍ ما ، أرسلت لي برسالة :

«فيلمك المفضل فلنشاهده سوياً»

رسالة قصيرة أدخلت كل السرور إلى قلبي ، ما لا يعرفه الرجل أن المرأة تريد منه أن يفهم رغباتها كما يتمنى أن يفعل ذلك هو ، ولكن لأنه يقضي وقتاً طويلاً بالتمني ، ووقتاً أطول بإدراك ما تريد ، لا يصل إلى بر أمان قلبها ، لكنك وصلت ، بخطاك الثابتة ، على جوادك الأصيل ، وصلت ، أدركت تفاصيلي الصغيرة وأنا لم أدرك ذلك إلا اليوم ، كنت لا تنطق بكلمات الحب التي أريدها منك كنت تفعل دوماً ما أكبر من ذلك ، ما أصدق وأعذب من كلمة أحبك ، كنت تحبني حد فهمك لرغباتي كلها . . . ابتسمت وأجبتك :

«أجل وأنا أفعل الآن ، يبدو أن الحب يجمعنا دوماً . . . لذلك أهديك الأغنية التي تعشقها كما أعشقها»

لم أكن أعلم أن هذه الأغنية من هذا الفيلم ستلاحقني ، لم أعلم أن عبدالحليم في الوسادة الخالية كان يقتلنا ، نعم أنا

Telegram : iraqkt

التي لا أتوب ، ولا يتوب هو ، نحن اللذان ترمينا الأقدار في طرقات بعضنا ، فترتصفنا العادات ويدهسنا المجتمع ، أنا يا سعود أعشقك وكأن العشق كان مقدّراً لك ، وكأن العشق كان درجة وحيدة لا ينالها سواك . . .

- تقول غادة السمان «في المسافة بين غيابك وحضورك انكسر شيء ما ، لن يعود كما كان أبداً» فهل انكسر ما بيننا في حضور الأيام المحملة بثقل المسافات؟

- نسيت أن تقتبس عنها ما هو أعمق ، نسيت أن تقول «لا تعد فحبي ليس مقعداً في حديقة عامة تمضي عنه متى شئت . . وترجع إليه في أي وقت»

- إذاً انكسرت كل الأشياء

- لم تنكسر يا سعود بل تحطمت والأشياء المتحطمة تنتثر شظاياها فتدمينا

- يبدو أنك رغم أنك أنثاي الوحيدة لكنك أقسى من رجال القبيلة

- لا يا سعود رجال القبيلة عجزت قسوة الكون في أن تجعلهم ينحنوا لها ، رجال القبيلة لا يعرفون القسوة ، أنا فقط الآن أعرف أنني مهما عرفت ومهما أدركت سبب رحيلك ، لن أكون لك ولن تكون لي ، حتى وإن اجتمعت أقدارنا لن أقبل في أن أكون سبب نقصك بي . . . أنا يا سعود فتاة لا أعرف الانتظار ، علمتني الوفاء من بعد ما ظننت أنك علمتني

Telegram : iraqkt

الخيانة ، أنا لا أصلح أن أكون فتاة أحلامك التي انتظرتها ، فلن أعطيك شيئاً سوى الخيبات وأنت ستعطيني سوى الفرحة والحياة . . .

كلمة غير صالحة كافية لأن يرحل ، لأن يتركني على عتبة النسيان ولا يلوح لي ، غير صالحة فأنا التي خنته بالأمس أكثر من مرة ، أنا التي دنّست قلبي بوحل رجل أفقدني الأمومة ، وقتلت قلبي بين يدي رجل أحبني حد الوجع ، أنا غير صالحة وليتها تكفي . . .

Telegram : iraqkt

إلى أبي ، وسعود :

إلى الرجلين اللذين خذلتهما ، إلى من كنت أريد أن يسكنا قلبي معاً ، لرجلي الأول ونسخة منه ، إليهما . . . خذلتكما وأنا على حيرةٍ من أمر خذلاني لكما ، لا أعرف إلى أي حال وصلت بي سذاجتي ، لا أعرف يا أبي ، ولا أدري يا سعود ، لم كنت جيدة كفاية في حبكما ، وما عدت كذلك ، لا أعرف كيف لفتاة مؤمنة بالله ، أن تخون كل الأشياء حتى إيمانها به ، كيف لي أن أخذل نفسي بنفسي ، أجلس على ركبتي ، أجثو وأنا أحمل الندم بين يدي ، أمرّغ فيه خدي حزناً على كل ما مضى ، ليت الوقت يعود ، فلا أحبكما ، نعم لا أحبكما ، فمن شدة برّي بكما أخاف أن أعاود خذلانـي لكما ، لذا لا أريد أن أحبكما مرة أخرى ، ولا أريد أن أواصل في حبي ، سأرحل محمّلة بكما ، وأنتما لا تحملاني ، لأنني لا أستحق أن تحملني النقاوة على عاتقها ، فتصبح كل يوم لتطهرني من دنس أفعالي ، إليكما يا أبي وسعود ، إليكما يا رجال وطنٍ اعتبركما مجرد رجال ، يا من ظننت أن القسوة شكّلت ضلعكم الصغير ، إليكما كل خيباتي بنفسي ، وحزني على حالي ، إليكما دمعة رحيلي

Telegram : iraqkt

التي سأذرفها وأنا أغادر أبواب حياتكما ، ولن أعود ، أبي سامحني لرحيلي رغم وجودي ، وسعود اعْفُ عن زلاتي في حبك . . .

Telegram : iraqkt

- سترحلين بي من جديد

- نحن لا نرحل بالأشياء التي نحب ، نحن نرحل بكل ما لا نحب فقط كي نتوجع ليلاً ونشتاق نهاراً ، نحن الذين نغادر ومن خلفنا كل ما تعلقنا به يوماً

- إذاً لا زلتِ تحبينني

- وسأفعل دوماً يا سعود ، لكني من شدة حبي لك فسقت فيه ، أنا الفاسقة في حبك . . .

- أنت النقية التي ما عكرتها المسافات ، أعلم جيداً أن الأيام كانت كفيلة بأن تذنبي ولكن الساعات جعلت من العفو دقائق محسوبة ، أنا الذي تركتك وأنت التي حملتي الذنب . . .

- ولأنني أذنبت وجب علي أن أتجرع العذاب وحدي ، لكن قبل أن أرحل أريد السبب الوحيد الذي جعلك تتركني من خلفك وترحل . . .

- قبل أن أخبرك ، قد أخبرتني مسبقاً أنك ناقصة في حبي ، وأنا أيضاً ساكون مثلك ناقصاً ، كلانا يكمل الآخر ، ولو دقائق ، أو ثوانٍ فلتكن لنا سوياً ، فلنبحر بعيداً عنهم ، فلنبني لنا عالمنا الخاص ، ولنعِش سوياً على ثمرات الحب وظلال الهوى . . .

Telegram : iraqkt

هل تذكر حين أخبرتني أن الحب غير كافٍ لأن نعيش ، وأن الحب لا يمكنه أن يبني بيوتاً لا أعمدة لها ، كيف لي أن أهرب معك إلى المجهول ، كيف لي أن أبحر بين أمواج المسافات العاتية ، أترك كل الأشياء من خلفي حتى وطني ، الآن بعد أن ندمت على زلاتي لن أستطيع الوقوع في ذنبٍ جديد ، كيف لي أن أرحل دون

أن أحسب خسائر قلبي في الرحيل ، أمي ، أبي ، إخوتي ، وأنا التي سأتركني معهم ، كل ما قلته مسبقاً صرت تنفيه ، صار حديثك كحديثي قبل الرحيل ، أين أنت من الوقت الذي مضى ، كيف غيرتك الأيام فصرت في حبي طفلاً لا تحتمل النوم وحيداً دون يدي ، يبدو أنك يا سعود يائسٌ في حبي . . .

Telegram : iraqkt

حين تنصهر بقايا الحب ، تشتعل في القلب لهفة ، يبقى رمادها عالقاً بين الأوردة ، يحجب الذكرى في أن تسيل

- سأتقدم لك من جديد وسأبقى هنا ، لن أرحل بك بعيداً عن الأشياء التي تحبين . . .

- وقبل أن أجيبك بالموافقة أو الرفض أخبرني لم رحلت مسبقاً وتركتني من بعدك لا أعرف شيئاً سوى الوجع؟

- لأنني سأرحل مجدداً رغماً عني ، رغماً عنك ,ورغماً عن الجميع

- سترحل مجدداً ، أأنت فاسد في حبي إلى درجة الارتباط بي ثم الرحيل؟

- لم تحاولين دائماً منذ آخر كلمة «أحبكَ» نطقتِ بها وبكامل إرادتك أن تبعديني ، لم نضجتِ في سنتين فأسأتِ الظن بي؟ أنا يا ريناد لم أنم منذ أيام ، لا أعرف كيف سيكون وقع الجملة التي سأنطق بها عليك ، لكنني أعرف أنني قطعت المسافات كلها لأقابلك وأخبرك أنني أحبك رغم ذلك

- تنضج قلوبنا حين تتوشحها الخيبة ، بل لا تنضج هي تهرم ، ونهرم معها ، فلا يبقى فينا سوى بقايا عطشى للماضي ، إلامَ ترمي يا سعود ما الجملة التي لا تعرف وقعها؟

Telegram : iraqkt

هل تدري لمَ كنتُ أبعدنا عن بعضنا ، لم كنت أمزق شملنا كلّما الْتمّ ، لأننا ما خلقنا لنكون سوياً ، فكل الأشياء التي تحتم عليها أن نلتحم فتكون شيئاً واحداً كان لابد لها وأن تتحدى كل جحيم هذه الدنيا لأن القدر ورب القدر أكبر من ألا يلتحما ، أما أنا وسعود ، أقحمنا أنفسنا بما لا يمكننا الخلاص منه ، ولا يمكننا الظفر به ، فأنا ناقصة وهو راحل كما أخبرني مبارك ، وكما كنت دائماً أجد لكن لا أدرك . . .

Telegram : iraqkt

إلى سعود :

كنت أدعو الله في كل ليلة أتتبع بها قصائد نزار التي أحبها ، كنت أركع بعد قراءتي لآلاف الأبيات الرومانسية فقط من أجل دعوة خالصة لك ، بألا تحترق على إثر دمعاتي التي انسكبت من مقلة تسالني عنك ، والله يا سعود أنني من شدة حبي لك كنت أخاف عليك من كل الأشياء التي ما وجب علي أن أخاف عليك منها . . . ولأنني غير جيدة كفاية لك ، كنت أنحرف عن مسار حبك ، كنت أنحرف عن طريق الصواب فيه ، حتى أذنبت في حبك ذنباً لا يغتفر وعرفت جيداً من بعد هذا الذنب يا سعود ، أنني غير صالحة لك ، وأنك لن تستطيع معي صبراً مهما وصل بك حال الحب ، فقط لأنني أذنبت ذنباً واليوم ستعلمه كي لا تبكي على رحيلي الذي لا يعد رحيلاً ، وكي لا تقف مكفوف اليدين كلما أمرك قلبك بأن تبتعد عني وترحل ، لكنك لن ترحل ، ولن أقبل بأن ترحل ، رغم نقصي فأنا أريد أن أكون بين يديك ، ولن أقبل بسوى ذلك ، سعود . . مهما عاد بي الزمن لن أتراجع عن هذا القرار الذي اتخذته اليوم بان أكون معك حتى وأنا عاجزة على أن اكمل حياتنا بطفلٍ صغير يشبهك أو يشبهني لا يهم ، لأننا في نهاية الأمر سيدّعي كل واحد منا أن الطفل يشبه الطرف الآخر . . .

Telegram : iraqkt

كانت تفصل بيننا مسافات لعينة خضعت لوجود الطاولة من أمامنا ، وكنت أتمنى لو أنها تتلاشى وأمام الناس أمد بكفي لوجنتك وأزرعها هناك ، كنت أتمنى لو أنني دفعت بالطاولة وارتميت بين أحضانك في هذه اللحظة

- أنا مصاب بسرطان الرئة يا فرحتي . . .

لم أبكِ لحظتها ، ولم أعِ أصلاً ما يحدث ، كانت تجول في خيالي صور لآلاف اللحظات الماضية التي كان يدخن فيها فأغضب كلما عرفت أنه تركني وأغلق الهاتف ليشعل سيجارته ، وكم كنت أخبره أنني لا أثق برجل يحمل بين يديه سيجارة ، لأنه ترك أنثاه من أجلها ، ولكن ما فائدة الذكرى وما فائدة كرهي للسيجارة طالما أنها ستأخذ أجمل ما قد حدث لي ، ورغم أننا للتو عدنا أظن أن هذا الخبر قد أنهانا ، كيف لكل السعادة أن تنهار على إثر جملة . . .

Telegram : iraqkt

إلى سعود :

كيف لي أن لا أفهم كلمة مبارك عنك بأنك راحل ، كيف لي أن لا أعرف أنك لن تتركني إلا لأنك مجبر ، الآن فقط فهمت أنك أحببتني حد الوجع والرحيل يا سعود ، الآن فقط عرفت أن حبك لي فاق حبي ، وأن رجال القبيلة حين يحبون لا يعرفون للحب نطاقاً ولا حدوداً ، ومن فرط حبك لي خفت أن أموت وجعاً حين تغادرني كل العمر ، يا سعود ، يا فرحتي أنت ، يا حياتي التي لا أعرف كيف أقضيها دونك ، أنا هنا ، وسأظل دائماً هنا ، بالقرب من أضلاعك ، ولأنني أحبك ، سأستند عليك ، وكلما انحنيت من فرط الألم سأحملك بين أحضاني ، سأحميك بنفسي وأزرعك بداخلي ، سأسقيك بأحلامي وحبي ، وحين يحين موعد القطاف ، سأخبئك ، وأتركك في نفس المكان الذي عهدت أن تكون به ، لن أسمح لأحد بأن يأخذك بعيداً ، وإن غادرتني مجبراً للقدر ، سأغادر معك بروحي ، ويبقى جسدي بانتظار موعد الرحيل ، يا سعود أنا التي لا أعرف كيف أحب سواك ، لا أعرف أيضاً كيف أعيش دونك . . .

Telegram : iraqkt

كنت قد وافقت على أن أكون له ، وأن تتم النعمة باجتماعنا بعد أن افترقنا مرغمين ، لكن ها هي ساعة الحب حانت ، أيدينا اجتمعت من فوق الطاولة ، أمام الجميع ، ابتسامتي فرحة له وابتسامته جنة لي ، رغم أنه قد فقد الكثير من وزنه ، وشحب لونه إلا أنه لا زال كما عهدته ، أحبه ببساطة ودون تكلف ، جلست على الكرسي المجاور للنافذة ، فقط كي أرسمه على الغمام ، وأكتبه على أشعة الشمس ، ثم أترك كل ذلك وأرحل ، لتمسحها السماء من بعدي فلا يراها أحد ليبقى لي فقط ، كنت أصلي من أجله وإليه ، كنت أدعو الله أن يكون بخير وأن يشفيه رغم أن مراحل السرطان كانت متطورة منذ لحظة اكتشافها وتشخيصه بها ، كنت أتمنى لو أن رئتيه سليمتين في الأشعة القادمة ، وكل ما كان مجرد خطأ في التشخيص ، لكن أحياناً بعض الأمور التي ندعو بها تبقى عند الله مختزنة نرى جمالها في جنانه . . . بالقرب مني يدي مشتاقة إليه ، تسألني عنه وعن عطرٍ شاغب أصابعه ، وهو بالقرب مني وكأنه مثلي يشعر بما أشعر به ، تسأله يديه عما سألت يدي . . .

Telegram : iraqkt

إلى سعود :

رفرف قلبي يا سعود حين اجتمعنا في أطهر بقاع الأرض وأبي يشهد على حبنا ويبتسم لي ولك ، وكأن الله جمعنا في مكانٍ ما ليطهرنا وحبنا من كل دنس هذا الكون قبل أن نعود ، وقفتُ أرقبك أمامي ، وكعادتك الملائكية كنت هادئ ، ولعل وجع المرض كان قد جعلك أكثر هدوءً . . . علمت في هذه اللحظات أنني في صدد غيابك ، وأنك في عداد الراحلين ، لكنني لن أستسلم ، لن أجعل حياتنا جحيماً للاستسلام ، سنمضي ، ونمارس أيامنا وكأن العلّة لم تكن ، تركتك أمام الكعبة ، كنت بصمتك تنظر إليها ، وأنا أعلم جيداً أنك كنت تناجي الله وتسأله آلاف الأمور ، لذا تركتك ورحت أجر خطوات الحنين حتى وصلت للفندق ، وتسمّرت أمام الرحيل ، عرفت أنك إذا مضيت هذه المرة لن تعود . . . تمالكت دمعي ، وللمت شتات الوجع وعدت لأبي ، طرقت الباب كثيراً ولم يجب طرقاتي ، انتظرت دقائق بالقرب من الباب لعل أبي قد خرج لقضاء أمر ما ، أو لعلك تعود ، لكن لم يأتِ أبي ولم تأتِ أنت ، لذا قررت أن أتصرف لوحدي وأخبر أحد موظفي الفندق بأنني بحاجة لمفتاح جديد ، وفعلاً خلال ثوانٍ قليلة استلمت

Telegram : iraqkt

بطاقة جديدة كمفتاح ثالث للباب وحين اقتربت من الغرفة كنت أنت تهم بالدخول ، ووجدته على الكرسي ، ينظر للنافذة الكبيرة التي تطل على الكعبة ، وبين يديه صورتي ، وهو . . . هو قد رحل وتركني بين عهدتك ، تيتمت أمامك يا سعود ، وأذكر كم كان بكائي حاراً وكان أساك موجعاً ، بكيت يا سعود ولا زلت أفعل ، فاليتم لا يعرف نسياناً ولا يعرف فرحة . . .

حملت أوجاعي وأبي على نفس الطائرة محملاً بكفنه ، عدنا لكن هذه المرة عدت بفقدي كله ، جلست على المقعد وحيدة بين أصوات العابرين الذين لا أعرفهم ، وكنت أبكي ، كنت أبكي أبي الذي رحل لربما وفي قلبه غصة على ما أنا به ، أو حزن على ذنبٍ حمله على عاتقه كنت طرفاً فيه ، بكيت كل المشاعر التي اختصرها يتمي ، وصرت أفكر كيف للفتاة اليتيمة أن تعيش في يتمها؟ كيف وأنا يتيمة الأب ، يا الله يا مشاعر الفقد كم أنت قاسية ، لكني ما أخبرته أنني سعيدة الآن ، أنا راضية وفي جنة الآن ، لم أعد موجوعة ، لم أخبره قبل أن يرحل أنني راضية بعد أن اجتمعت بمن أحب . . . تركني أبي يتيمة من بعده وما حالي من بعده إلا حال طفلة وأدت سعادتها الأيام ، عدت أدراجي أحمل هم دمعات أمي ، ووحدتها التي ستتجرعها ، فقيرة الأنثى دون رجلها ، مسكينة دون من أحبته يوماً ، وعابرة سبيل تنتظر الرحيل دونه ، والموجع

Telegram : iraqkt

في الأمر أن الحياة لا تزكي وجعها بل تدّخره لها ليتضاعف كل حين . . .

هذه المرة لن أكـتب لك يا سـعـود في زاويتك ، هذه المرة سأكتب لأبي ، سأكتب له وحده .

Telegram : iraqkt

إلى أبي :

تركتني يا أبي ، تركتني بلا موعد وأنا التي ظننت أنك ستبقى ، تركتني على أطلال الحب ، أحمل بين يدي قلبي الذي أبى أن يسكنني من بعد رحيلك ، أتدري يا أبي أنني لم أكن أعلم كم أن اليتم موجع ، كم أنه يحترق بداخلنا لتشتعل أعيننا بالدمع ، هذا اليتم الذي كان يقفز من عيني ، يطل من بين أبواب قلبي التي أوصدتها من بعدك ، اليتم الذي يفعل بي ما لا يرضاه كل الكون لفتاة فقيرة من دون أبيها ، أنا يا أبي لم أكن أعلم كم أنك فرحة لا يسعني شكرها إلا بدعوة خالصة ، أما اليوم فأنا أعلم أنني كلما اشتقت إليك لا يسعني إلا أن أرفع يدي وأطلب من الله أن يجمعنا ، لأن كل المشاعر في هذا الكون خانتني ، وكل الأشياء خذلتني في غيابك حتى عيني ، فانسكبت دمعاتي وأبى كمّي أن يمسحها ، وكأن الكون كله أجمَعَ مِن بعدك على أن يدفنني ويترك قلبي ينبض ليعيشوا على نبضاته دوني ، يا الله يا أبي ويا الله على يتمي ، وحده القادر سبحانه على أن يجبر كسري ، ويخفف ألمي ، لأن اليتم لا يعرف الرحمة ، تطل أوجاعه من مقلتي فلا يتجرأ أحد على أن يسألني ، ولا يملك أحد حيلة السؤال عن حالي ، هل تعلم

Telegram : iraqkt

ماذا فعل بي يتمي يا أبي ، تركني على حافة القهر ، يدهسني الحنين ، ولا يلملم شتاتي غير الألم ، أنا يا أبي اليتيمة برحيلك . . .

Telegram : iraqkt

إلى سعود :

يا حبيبي هذه آخر الرسائل التي لن تصلك ، لأن ساعي البريد كان يختلس النظر إلى ما فيها ، ولأنه لا يعرف كيف يعيد جبر ما كسر فيها ، كان يمزقها ، يمزقني في كل سطر ويمزقك في كل حرف ، ثم يرحل لتبقى رسائلي ذكرى أراد طير الحب أن يوصلها إليك ، يا حبيبي يا سعود ، لا داعي للرسائل وأنت هنا تسكنني وأسكنك ، بالقرب مني ، تقويني وتجمع شتات يتمي ، يا جمال الجنوب ، ورائحة الحب فيها ، يا وطني الذي سكنني بابتسامة ، ولم يهجرني ، كنت بالقرب مني حين انهرت وانهارت كل الأشياء من حولي ، من بعد أبي كنت أنت أبي . . .

Telegram : iraqkt

لا يهم الآن كم صفحة حب أكتب بين يديه ، ولا يعنيني أن أتسلل ليلاً لأن أكتب وجعه ، لا مجال للكتابات الآن ، أنا أعيش الحب بكامل إرادة الحب ، لا أعلم إن كان غيري يعرف شعور الحب ، لكنني سأختصره هنا ، وسأخبر من لا يعرف ما الحب ، عن الحب ، عن طهره ، عن جماله ، وعن عذب الإحساس الصادق به ، لا يهم أن نستيقظ صباحاً على وردة كتب بالقرب منها أحبك ، ولا يعني الحب فقط أن نغفو على كلمة تعنيه ، ولا يكون بأي أبجديات الغزل التي نرسلها أو ننطقها ما بين ذلك . . . الحب هو أن نقف رغم انكسارنا لأن بالقرب منا من يجبرنا ، يمنع تهشمنا من أن يتآكل بداخلنا فيأكلنا ، الحب هو أن نعلم جيداً أننا رغم خيبتنا بسواه ، لن تخيب ظنوننا بمن نحب ، الحب . . . الحب يجعلنا فراشة تطير لتدخل البهجة إلى قلب سواها ، حتى رغم وجعنا بسواه نحن لا نزيد من حولنا فيه إلا فرحة . . . الحب أبجدية حياة ، قطعة من الجنة ، أعرف أنني أبالغ لكنه قطعة من قطع الجنة ، بالحب نعرف أننا كبشر وصلنا إلى أعلى سمات الإنسانية وأصدق درجات الوفاء ، بالحب فقط نعلم أننا بشر ، تسكتنا اللهفة ، وتشغلنا الرغبة ويحيينا الحنين ، حتى في أوج الغياب ، حتى

Telegram : iraqkt

في خـضم الرحـيل ، نحن نوقن أننا بفـعل الحب لا نزداد انكساراً حتى لو انكسرنا ، يجبر كسر ذلك الحب والإيمان التام بأننا سنجتمع بفعله في جنة النعيم . . . الحب أكبر من أصفه بصفحة ، أو أختصره هنا لكن يبدو أنني من فرط الإحساس به ، لا أعرف كيف أكتب أبجديات هذا الإحساس ، مجرد التفكير به يجعلني لا أعرف ماذا أفعل ، يربطني ، ويمنعني عن الاسترسال به لربما خوفاً من انتقاص حقه ، أو لربما خجلاً من أن لا أفي الحب إحساسه . . .

Telegram : iraqkt

حين قررت أن أكون جيدة وصالحة فأدعو لأبي بكل اشتياقي له وحنيني ، كانت قد قررت الحياة أن تكسرني من جديد ، كنت بالقرب من سعود بانتظار نتائجه ، وكانت قد ساءت حالته رغم أنه بصدد الانتهاء من جلسات العلاج الكيماوي ، ملامحه تغيرت قليلاً على الناس ، هزل وشحب وبدا مختلفاً ، لكنه لطالما كان سعود الذي أحب ، سعود الذي أعرفه جيداً ، يبتسم رغم الوجع ، يضحك رغم ألمه . . .

- يا فرحتي ما رأيك باحتضان طفل

هكذا ودون سابق إصرار أو ترصد ، أخبرني بجملته وهو يبتسم لي ، يحمل بيديه كتاب وينظر إلي وكأنه ينتظر إجابة يعرفها ، لم تخطر على بالي فكرة احتضان طفل ، رغم أنني فاقدة الأمومة إلا أنني أعرف كيف أمارسها لأنها مشاعر ، ومع يتمي هذا أنا أفضل من قد يغدق الأطفال من مشاعر الحب والأبوة ودون تردد وافقته ورحنا نباشر أمور الاحتضان ونملأ أوراق الطلب ، وأنا كلي فرحة ورغبة بأن أحمل أي طفل منهم ، وأنا أملأ الأسطر كنت أشعر أنني بأشهري الأولى ، وكلما انتظرنا كلما شعرت أنني أتقدم بحملي ، وحين رنّ هاتف سعود برقم كنا ننتظره أجاب وهو ممتلئ بالفرح . . .

Telegram : iraqkt

إلى طفلي المحتضن ، إلى ابني ، إلى قطعة من قلبي لا من رحمي :

لا أعرف كيف أصف شعوري وأنا سأصبح أماً ، سأحملك بين ذراعي بعد أن كانت لحظات الولادة صعبة ، أجل لحظات الولادة ، كنت كلما انتظرتك كلما شعرت بآلام في بطني ، آلام حادة من فرط الخوف من أن يتم رفض طلبي لسببٍ ما ، بل كنت أشعر بألم الحنين إليك رغم أنني لم أراك ، أجل يا طفلي ،فأن لا أحملك في رحمي لا يعني أنني لا أموت شوقاً إليك ، بل ولا يعني أنني لا أحبك ، لربما أنا أحبك أكثر كلما تذكرت أنني لم أحملك على صدري لحظة بكائك أول يوم لك على هذه الدنيا القاسية ، أنا مثلك يتيمة ، لكنك ما عدّت كذلك ولا عدت أنا يتيمة ، بك سأجد كل الأشياء التي تنقصني ، بك سأكملني وسأكملك ، أنت طفلي الذي حمله قلبي ، زرعته بين أضلاعي ، أنت طفلي الذي وهبني الله به لا لشيء ، بل لكل الأشياء ، عمّرت قلبي بحبك فازددت إيماناً بحبي لك ، رغم أنك مجهول إلى الآن ، لكنني أعرف أنك كمال قصتي ، ومثالية حياتي ، أنت نبضي الذي يسألني عنك متى تقبل ، فأصبّره لأن بعد الصبر ليس فقط الفرج بل الجنة ،

Telegram : iraqkt

وأنت جنتي وجنة أبيك ، أبوك الذي أرادك بقدر رغبتي بك بل وأكثر ، هل تعلم أنه أول من أخبرني بالفكرة ، ودون تردد كنا قد أصررنا على أن تكون جزء من حياتنا ، جزء من رغباتنا ، وجزء من قلوبنا المهشمة التي ستجبرها بابتسامة ، أنت يا طفلي الذي لم أسميه بعد سأكون لك أماً ، بل ستكون لي أباً يوماً ما ، يا جنتي وفرحة أبيك ، كنت في الماضي فرحته ، ولطالما ناداني بيا فرحتي ، لكنك الآن فرحتنا ، جنتنا ، وكل أمنياتنا وحياتنا ، لذى إلى أن ألقاك ، سأناديك بجنتي ، وسيانديك أبوك بفرحتي ، وإلى لحظة الارتباط الأبدي يوم لقياك أنت كل الأسماء الطاهرة الحبيبة إلى قلبي . . .

كنت أقف بخوفي ، بقلقي ، وبمشاعر طغت علي ، كانت مختلفة تماماً عن مشاعر أول إصدار لي ، لربما لأنني هذه المرة بصدد أن ألتقي بنبضي الجديد ، بصدد أن أحتضن نفسي بين يدي ، كنت أقف بالقرب من سعود ، أيدينا متشابكة ، ننتظر أول مولود لنا ، نتلفظ آخر أنفاس الوحدة ، وجاء ، جاءني كالمطر لصحراء يتمي ، جاءني ليشقيني من عذب ملامحه قطرات لا قطرة ، حملته وأنا أشعر بأنني أحملني ، أحمل جزءً مني ، وضعته على صدري ، ولم أشأ أن أتركه ، أكمل سعود الإجراءات الباقية ، وأنا لا أزال بنفس حالتي ، أحتضنه بقوة ، أخاف عليه حتى من نبضاتي أن تزعجه ، مسح سعود على

Telegram : iraqkt

رأسه وقبله ، وعلمت لحظتها تلك ، أننا لسنا مثل بقية الأسر ، نحن شخص واحد ، نحن لا نتهشم طالما أننا سوياً . . . .

- لا بد من تسجيل اسم له

- عبد الرحمن

لم أختر له الاسم ، كان قد اختار لنفسه اسمه بنظرة ، عبدالرحمن ، عبدَهُ الذي رزقني به ، عبدَه وخادمَه وأسأل الرحمن أن يجعله صالحاً في دينه ودنياه ، أظن أنه لا يهم إن كان باراً بي أو لا ما يهم أن أراه سعيداً ، وكأنني بدأت تضحية الأمومة من هذه الخطوة ، من أجل ابني ، عبدالرحمن ، طفلي ، وكلّي . . .

عبدالرحمن طفلي ذو عامه الأول ، يسكنني ولا يسكن مملكتي فقط ، أحمله كلما سمعته يبدأ ، بل قبل أن يهم بالبكاء أحمله وأضعه بالقرب من قلبي ، وكأنني أخبره أنه هنا بخير ، وأنه مثلما لم يعش تسعة أشهر في رحمي ويشاركني نبضاتي ، ها هو يفعل الآن ، أريد أن أعوض أيام حرمانه وحرماني . . .

- يا فرحتي ، إيش الغدا؟

- لا غداء اليوم . . اعتبرني نفساء ولا أقوى على الأمور المنزلية

- يبدو أن عبدالرحمن سيحملك لعالمٍ آخر بعيداً عني

Telegram : iraqkt

- ويبدو أنك ساذج كفاية لتغار منه

- وهل تحبينه أكثر مني لأغار؟

- بل الغريب بالأمر أنني أحبكما كم لم أحب يوماً ، وكأن قلبي خلق ليحملكما فيه فقط

ابتسم لي وكنت أعلم أن زوجي وحبيبي وفرحتي هذا كطفلٍ آخر ، وأنا في صدد أن أحملهما معاً بداخلي خوفاً عليهما من أي شيء سواي وسوى حبي . . . كنت أمارس الأمومة بفعل الفطرة التي بداخلي ، أسأل أمي عن أمور بسيطة ، أستفسر عما لا أجيده ، وفي أحيانٍ كثيرة كانت تأتي لزيارتي فتساعدني بأمورٍ أجهل كيف حلّها دون أمي :

- أين سعود

- ذهب لزيارة أهله ، وسيبقى هناك حتى نهاية عطلة الأسبوع ، وكم أنا خائفة عليه

- م تخافين يا ريناد؟

- أخاف يا أمي أن ينسى مواعيد دوائه ، هذا الشيء الوحيد الذي يبقيه قادراً على الاستمرار ، أجهل يا أمي ما سيحدث لي إن أصابه مكروه ، ليتني أعرف فقط كيف أجد علاجاً له ، ليتني أستطيع لو أن أصنع له العافية .

- ريناد . . . كوني مؤمنة أن الله ما ابتلاه إلا لأمر ، ولم يجمعكما إلا لخيرة ، ها أنت معه ومع طفلك ، لا تجعلي هذه الظنون السيئة أن تسيطر عليك ، اعلمي أن الله ينصر عبده

Telegram : iraqkt

الصابر ولو بعد حين ، ولعل الصبر على هذه البلاء مهما كانت نهايته سبب في أن يجعلكما الله في داره ضاحكين مستبشرين ، ها أنا أفتقد أباك ، ولكنني صابرة ، أعلم أنه في مكان أفضل ، لربما أبدله الله داراً خيراً من هذه الدنيا وأهلاً خيراً منا ، بل وأنا أدعو بذلك في كل صلاة لي ، اسألي الله له العافية ولا تقنطي من حكمة الله وعفوه . . .

وكأن أمي كانت تعلم جيداً أنني لن أصبر ، وأنني لو عايشت غيابه لحظة لربما أرحل بوجعي . . .

Telegram : iraqkt

إلى سعود :

كتبت أحلام مستغانمي ذات مرة كلمات ختمتها بجملة أحببتها «كم كنت ثرياً بي» ويبدو أنني ثرية بك إلى حد الإفلاس في حال رحيلك ، أنا لا أملك في بعدك درهماً في الحب ، أنت مصرفي الذي رهنت من أجله كل المشاعر فما بقي مني شيئاً أقرضه لسواك ليعفو عن مشاعر كثيرة في الحب غير مدفوعة ، أنا يا سعود إن خسرتك سأخسر معك كل ما رهنته في يوم ما ، فأعود خائبة ، مكسورة لأبواب فقري ، أشحذ المشاعر التيً أفتقدها فيني ، أبحث بداخلي في فراغ وخلوة ، لا يعرف الخوف من ظلمتها بشر ، أشحذ كل شيء إلا الوجع فأنا ممتلئة به حد الإقراض ، لكن لا أحد يقترض الوجع . . . أنا يا سعود حين ترحل ، أعلم أنك سترحل بكل شيء ، حتى بروحي ، فأبدو الهالكة من دون سقياك ، وأموت ، أجل أموت ، كما تموت زهرتك المفضلة حين تنسى أن تسقيها ، الفرق أنك ما نسيت ، أنت تذكرك لكنك عاجز على أن تسقيني ، سيغيب عني العنفوان الجاري الذي يحملني إليك رغم كل تيارات التضاد من موجة غضب المجتمع الذي تخطيناه وتخطينا مسافاته ، ستتركني ككل الأشياء التي ما تركتها لكن تركتني رغماً عنها وعني . . .

Telegram : iraqkt

اليوم يا سعود أنا أحمل حقيبة الدهر ، أرتدي وشاح القهر ، فقط لأنني ما أحسنت للقبيلة قبل أن تعود وقبل أن ترحل ، أنا اليوم أشعر أنني تجردت من كل شيء حتى من الحياة . . .

- سعود . . .

- لبيه يا فرحة سعود

- أعلم أن ما قاله الطبيب كاف لأن يقتلنا سوياً ، لكن لا يهم ، طالما أنك هنا ، سنعيش كل لحظة ، لن أترك لحظة واحدة لأن تمضي دون أن نستغلها في الحب . . .

بدت ملامحه الحزينة رغم أنها رفعت ابتسامة لتوهمني بها ويوهمني هو أيضاً بها ، كان قد فقد الكثير من وزنه ، أصبح هزيلاً ، أخاف عليه من نسمات الهواء ، ملامحه الحبيبة تلاشت ، بل أنه لا توجد ملامح أصلاً ، غريبٌ بجسده وبرودته ، وحبيب أعرفه جيداً بكلّه . . . هذه المرة سمحت لي الحقيقة في أن أودع كل الأحبة معه ، كان يريد أن يسأل الجميع العفو ، حتى وإن لم يخطئ في حقهم ، كان يريد أن يرتاح في أوج الوجع والألم ، وكنت معه في كل الطريق ، أحمل بيدي ابنه ، ابني ، ووجعه ، أرى دمعاته وهو مسجى على السرير تنهمل ، ولا أعرف ما العمل ، عاجزة تماماً عن أي شيء ، وكل ما كان يطلبه هو أن

Telegram : iraqkt

أغفر له رحيله الذي أوجعني مرة وسيوجعني من جديد

- يا فرحتي هل ستعفين عني إن طلبتك السماح؟

- وهل لا أفعل حين لا تستحق إلا أن أعفو عنك وأحبك أكثر؟

- بل قلبك قد فعل زمناً طويلاً مضى وكلما أحببتني كلما أحببتك عمراً فوق هذا العمر الناقص . . .

- وحين تعلم ذلك ما حاجة السؤال؟ سعود أنا لا أحبك بل أنا أعيش حبك الذي علّمني كل ما لم أتعلمه

- حاجة في نفس يعقوب جعلتني أسأل ، لربما أرتاح ولم يتسنَّ لي أن أخبرك أنني آسفٌ على الرحيل وأنني أحبك . . .

- تحسدني على هذه الحاجة ، تحسدني على رحيلك؟

- بل أخاف عليك منها وآمنك على سواها

- وما سواها؟

- قبيلتي . . .

نفس القبيلة التي أوهمتني أنها سيئة كانت جيدة كفاية لأن تأمنها علي ، وكيف أرحل للقبيلة يا سعود ورحل شيخها الذي أحببت ، لا يعود هناك أهمية لأن أتواجد فيها من بعدك ، سترحل محملاً بها وبي ، سنبكي أنا وهي ضعفنا من دونك ، سأبكي عجزي في وجود طفل لم يقابل أبيه ، ليته كبر قليلاً في أيام كي تتسنى له الفرصة في أن يتعرف عليك ، لكن ما بأيدينا غبار سحري لذلك . . .

Telegram : iraqkt

إلى سعود :

هل تذكر كلما كنت أطلب منك أن تتوخى الحذر من أبناء الحرام فكنت تجيب بصوتٍ ثابت بأن دعوات أمك كفيلة بأن تحفظك منهم . . . فما بالها دعوات أمي ما حفظتني من وجع الحب ، ما لها أمي لم ترفع يديها وتناجي الله بأن يقفل على قلبي أبواب الهوى ووجعه ، بأن يفرّغ قلبي من عيب المجتمع وحرام العادات الذي انتهكوه بذلك ، ما بالها أمي نست أن ترعى قلبي بدعوة عن الحب . . . والله إنّ أمك نست أن تدعوا لقلبك مثل ما نست أمي ، ها هو الحب قتلنا ، ها أنت الراحل وها أنا المتشبثة بك ، أنت المودّع وأنا التي أفكر كيف السبيل إليك ، أنا مغفلة كفاية لأدير ظهري لقلبك يوم كنت تريد أن أعرف الطريق إليك ، لكانت لحظاتنا أطول لكن ها هو القدر كتب لنا مقاديره ، أنا ما فرطت برجلٍ تخلّى عن قسوةٍ أشارت بها أصابع الجميع نحوه من أجل شيء ، لكنني عاجزة على أن أفعل شيئاً . . .

هل تذكر يا سعود في يوم كنت تجلس على بعد مترات منّي ، كنا قد التقينا في صدفةٍ اعتمدناها ، جلست وبيدك سيجارة وفي الأخرى هاتفك الذي كان طريقة تواصلنا على

Telegram : iraqkt

بعد النبضات ، فدار حوار لا زال بين أذني وقلبي، وكأنه حدث ليثبت لي اليوم أن كل تلك التنبيهات قد أوصلتنا لرحيلك ، ليتني أجبرتك على أن تترك سيجارتك كي لا ترحل بفعلها . . .

- أنا لا أثق برجلٍ بين إصبعيه سيجارة

- وأنا مثلكِ تماماً ، من يخضع لأسباب موته وهو على بينة من ذلك لا يستحق سوى الوجع

- إذاً أنت لا تستحق سواه؟

- فقط لأنني قد خضعت لأحد أسباب موتي قبل السيجارة

- وما هو ذلك السبب غير ما بين يديك

- الحب . . . حبكِ . . .

Telegram : iraqkt

تجري الأيام على عجلات عمرنا التي تدهس قلوبنا دون رحمة ، دون رأفة على يتمنا في الحب أو في سواه ، وتبقى بعض الأشياء عالقة لا تطال السماء ولا تطالها الأرض ، كحبة رملٍ تاهة بعيداً عن عاصفة ، كانت أرحم من أن تعصف بمدينة هادئة أطفالها نيام ، تبقى عالقة بعيداً عن الحرب وقريباً من السلام ، لكنها في نهاية كل الأمور هي عالقة ، مثل قلبي الذي أحب سعود ، حاول جاهداً في أول غيابه أن ينساه برجالٍ آخرين لكنه ما استطاع ، هذه الأشياء العالقة مثل قلبي الذي تاه بين الرجال ، فرط بالذهب وتاه بين الألماس والفحم متناسياً ان الفرق الوحيد بينهما هي المدة الزمنية كما كان ، مدة قصيرة كانت كفيلة بأن أسقط بينهما ، متمنية لو أنني قد ضعت في منجم سعود لو أنه قتلني بنفس السهم الذي دفن نفسه به ولم يشركني الدفان ، كم أتمنى وأتمنى وأتمنى ، ولكن الأمنيات تبقى مرهونة بتلك النجمة التي سقطت من أجل غيري ، وحين عاد . . ما عاد باستطاعتي أن أعيش معه أكثر مما هو مكتوب ، كان مقدراً لهذه القصة العذبة أن تبتر بوجود كمّ الحب وكمّ الوجع ، كنت أخاف على نفسي من رحيله ، وأخاف على طفلي الذي أشركناه بوجع الرحيل . . .

Telegram : iraqkt

إلى كل الرجال الذين غابوا وما عاهدوني بالعودة ، إلى كل الذين احترموا عقلي وما عاهدوني بالخلود ، إلى سعود الذي أحبني بمشاعر رجل القبيلة القاسي في نظر مجتمعي اللين في حبي ، إلى أبي الذي تيتّمت مشاعري من بعد أن رحل قبل أن أعتذر على سوء حبي ، إلى جابر الذي ما جبر من بعده آلاف الجراح ، إلى هتان الذي ما جبرت كسره بي وتركته . . . إلى أمي ، أختي ، وحتى إلى مشايخ ، إلى كل النساء اللاتي ظَنَنَّ أن الحياة برجل تعني الوقوف من خلفه ، وأن الحياة دونه تعني الذل ، إليكن أهدي قصتي مع رجل القبيلة الذي أحببت وأحبني ، رجل البادية ، سعود الذي عاهد المسافات بأن لا تقطعنا ، فقطعتها أنا في أول غيابٍ له ، سعود الذي وقف بجانبي لا أمامي ، سعود الذي ما هاجر موطنه بي ، فدفنته فيني خوفاً منه على سواي ، إلى كل النساء لا تثقن بمجتمع يكذب حين تصل المسألة لـ «بشت» ، ولا تقفن عند مجتمع يلصق تهمة العار بفقيرٍ لا حيلة له ويتباهى بعهر المال ، لا ترفعن ظنونكن بمجتمع يبيح لرجاله الرذيلة باسم الذكورة ويسقط عن المرأة الحلال باسم العيب الذي ما طالها ، لا تقفن عند هذا المجتمع ولا ترثين حاله ، اتركنه من خلفكن وامضين

Telegram : iraqkt

حيث يأمركن قلبكن ويستمع له عقلكن ، اذهبن حيث مبادئكن تأمركن ، ولا تتخلين عن أمر كان لَكُنّ مكتوباً ، لا تهربن من الحب حين يهرب إليكن ، ولا تخفن رجال القبيلة الذين كانوا أحنّ عليكن من أنفسكن ، ولا تخفن رجال المدينة الذين عاهدوكن بالحب ، خفن من أنوثتكن التي ستبتر أجمل القصص ، من قلوبكن التي ستهرب من الحب خوفاً منه ، خِفن فقط من أن ترحلن وأنتن محمّلات بذكرياتهم ، فبعض رجال هذا الوطن أصدق وأعذب من أن يكسروا أضلاعهم التي تذكرهم بكنّ . . .

- تذكر آخر لقاء لنا؟

- من الصعب أن تسألي المنغمس في تفاصيلك هل تذكر اسأليني هل نسيت؟ والإجابة رغم ذلك بين يديك

- لكنك دائماً تتحدث بصيغة الراحل يا سعود وهذا يقتلني

- عليك يا فرحتي أن تغتالي قلبي وتنهين كل شيءٍ جميل كي لا تتوجعي أكثر حين الرحيل ، أنا أعلم أنها النهاية وأنها أوقات معدودة وأتركك كما تركتك المرة الأولى الفرق الوحيد أنني لن أعود لأحملك مجدداً بي وأزرع فيني نبضاتك . . .

- وهل تنهيني؟

Telegram : iraqkt

- أُنهِينا
- لمَ؟
- لأن الأشياء الجميلة لا تبقى ملكاً لأحد ، ريناد حين أرحل لا أريد أن ترحلي بعدي بالوجع . . .

بكيت حتى بكى معي الوجع ، كنا نبكي ونحن نعلم جيداً أن نهاية هذا الحب ستقتلنا سوياً . . .

- هل تذكرين أجمل مقطع لنزار تحبينه؟
- أنا لست أبكي منك بل أبكي عليك
- ما بالك تبكين عليّ قبل موتي
- أنا يا سعود بائسة في حبك ، سيئة ما استطعت الحفاظ عليك هذا الأمر الوحيد الذي أعجز حبي لك
- وأنا أحبك بكل تقاطيعك التي تكرهينها ، بعجزك ونقصك أحبك ، وأريد لآخر لحظاتنا أن تكون جميلة لتنتهي بي كما كانت . . .

Telegram : iraqkt

كنت قد اعتدت أن أتواجد في المشفى طوال اليوم ، زوار كثر ، أعتقد لا أحد هنا يأتي لكي يشمت بي ، هذه اللحظة الوحيدة التي لا نتمناها حتى لأعدائنا ، كنت مثله باهتة قد انطفأت وانطفأت ملامح الفرح المتبقية فيني ، أنا وهو وعبدالرحمن ، وكأن غرفة المشفى هذه بيتنا الصغير الذي يجمعنا ، وكأنها مأوى حبنا ووجعنا ، كان يغيب عن وعيه ساعات ويعود ساعة ، وكلما عاد كنت أتمنى لو أنه ينساني ، ينسى كل شيء ويعود طفلاً ، كي يكف عنه الوجع ، هزيل جداً ، كلما أمسك بيدي خفت أن تتساقط عظامه من قسوتي رغم ليني ، وكلما طبع قبلة كنت أموت ، أموت مع كل قبلة تذكرني أنها الأخيرة . . .

- أحبش

- وأنا أحبك ، وأعلم أنك لن تتركني وتترك عبدالرحمن

- لكنني راحل

- لست كذلك

- أنت قبيلتي

ثم يبتسم وينطق بالشهادتين لأبكيه وجعاً ، ويغيب عن الوعي من جديد ، ليتركني أصارع ألم الواقع ، ليتني عرفت كيف أقف قاسية دون الوجع ، وكلما عاد لوعيه أنهاني بأنتِ قبيلتي . . .

Telegram : iraqkt

إلى سعود :

لم يبقى ما أكتبه لك ، جف قلمي عند الحديث عن ماضٍ لم تكن فيه ، ونفدت الأوراق قبل أن أدرك حلمي بأن تعود ، إلى سعود ، إلى الرجل الذي اختصر كل الرجال ، إلى الرجل الذي عاهدني بالوعود دون الخلود ، إلى سعود الذي خاف علي من الرحيل فاتهم القبيلة ، إلى سعود الذي جعلني قبيلته وأحبني أكثر من حبه لها ، أنت قبيلتي يا سعود أنت الرجل الذي علمني أن رجال القبيلة أحن علي من سواها ، أنت يا سعود الذي لن تعود ، أنت مَن علّمني أنني فرحة ، جنة ، ووطن ، أنت الذي رحلت على أمل أن أعود لك ، وحين خاب ظنك في حبي عدت تحملك إليّ ، أنت يا سعود الرجل الوحيد في حياتي كلها الذي علمني كيف أقف بجانبه لا خلفه ، ها أنا أحمل طفلك بين يدي ، أعلمه من أنت ، أنثر صورك أمامه ، أفخر ببطولاتك ، وأحكي له عن قصتنا المبتورة ، ليك كنت هنا كي تخبره أنني لم أحمله وهناً على وهن ، لكنني حملته في قلبي ويصعب عليّ جداً أن أنشطر عنه ، في نهاية حديثي له ، أضمه لي وأخبره أنه فرحتي ووطني ، ويخيل إلي أنك تفعل معي مثل ما أفعل وتنطقها بصوتك المتعب ، كما أذكره آخر مرة : «أنتِ قبيلتي»

Telegram : iraqkt

نسيت أن أخبرك قبل هذه اللحظة يا سعود نسيت أن أخبرك أنني أحن لقبيلة أنت منها فأنا ابنة هذا الوطن لم أحظَ بقبيلة ، ورغم ذلك يا وطني «أنت قبيلتي وقبيلتي أنتَ» . . . .

Telegram : iraqkt

١

النهاية

أنثى ، أحرفٌ أربعة جعلَت من كيدهنّ عظيماً ، ومن وجعهنّ عظيماً ، والوجع كان أعظم . . .

Telegram : iraqkt

أنا لا أحتاج لأن أكون ابنة القبيلة التي لا تقبل بي ، يكفي أن تكون أنت قبيلتي التي جعلت من كيدي عظيم، ومن وجعي أعظم ... قبيلتي التي هجرتني وما هجرتها ، أجتثت من قلبي فغادرتني وأغلقت من خلفها كل أبواب قلبي ورغم ذلك كنت أنتظر أن توجعني أكثر تصور أنني أرتضي منك الوجع أرتضي منك اللاشيء فقط لأنك ... أنت قبيلتي ...

ISBN 9957-06-033-3

9 789957 060336

KALEMAT
للنشر والتوزيع

رسم الغلاف
أمل القفاري